

الرَّهْصُ وَالْوَهْصُ!

قَصِيدَةُ حَمَاسِيَّةٍ فِي كَشْفِ عَبَثِ
بَعْضِ النَّاشِرِينَ بِكُتُبِ التُّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ

صَنَعُهُ

أ.د. أحمد بن عليّ القرنيّ

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالميّة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

صفر ١٤٤١ هـ - أكتوبر ٢٠١٩ م

للتواصل مع المؤلف

على البريد الإلكتروني

DAL1388@gmail.com



الطَّلِيعَةُ

الحمدُ لله كما يُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ. والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه أحمد.

وبعدُ ؛

- ١ -

فقد كتبتُ - ذاتَ يومٍ - مقالاً في إحدى الصُّحفِ السيِّارة^(١)، أنتقدُ فيه إحدى دورِ (النشرِ) التي تتسبَّبُ للكتُّبِ والعِلْمِ !! وهي الدُّ أعدائِهِ، وأشدُّ أدوائِهِ^(٢).

فَفَجَّأَنَا صاحبُ الدارِ - في الصحيفةِ نفسِها - بكتابةٍ ردٍّ لو نقرتَهُ لطنَّ! ^(٣)

(١) كان ذلك في صحيفة (المدينة) ملحق (ألوان من التراث) بتاريخ ٩/٦/١٤١٣ هـ. الذي كان يُشرف عليه اللُّغويُّ الكبيرُ أ.د. محمد يعقوب تركستاني حفظه الله ورعاه.

(٢) كانت تلك الدارُ - ولا زالت - تقومُ بدورٍ مشبوهِ في تدمير المكتبة الإسلامية؛ بإصدارها طبعاتٍ سقيمةً لكتب العلماء الأسلاف، مع عبثٍ مستطيرٍ بمادَّة تلك الكتب؛ بالزيادة، والنقص، والسقط، والغلط، والتصحيف، والتحريف، حتى غدت إصداراتها مثلاً يُضربُ؛ في المسخ والتشويه !!

(٣) يُقال في الأمثال: «حَدِيثُ لَوْ نَقَرْتَهُ لَطَنَّ»! كناية عن رِقَّتِهِ وضعفِ إحكامه! انظر مجمع الأمثال للميداني (١/ ٢٣٠).

لطيفةٌ: حكى أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال: «أنشدتُ أبا شعيب الفلَّال أبياتَ أبي نواس:

ودارُ نَدَامِي عَطَّلُوهَا وأدْجَلُوهَا بها أثَرُ منهم جَدِيدٌ ودارُسُ

فقال: هذا شعرٌ لو نقرته طَنَّ. فوصفه من طريق صناعته! «سَرَّ الفصاحة للخفاجي (ص/ ١٦٨). أي أنه كان حدَّاداً فيما يظهر!

فقلتُ: تكبيرةٌ من حارسٍ ^(١)! وتذكّرتُ حينها قولَ أميرِ الشعراء ^(٢):

أعلنتُ أمرَها الذئابُ وكانوا في ثيابِ الرُّعاةِ مِنْ قبلُ جاءوا!

وأعجبُ من هذا أنه - وبلا حياءٍ ^(٣) - يُخطئُ ويُفسّرُ ^(٤)، بل ويقرّرُ!

(١) قال محمدُ بنُ عبد الله القطان: كنتُ عند محمد بن جرير الطبري، فقال له رجل: إنَّ ابنَ أبي داود يقرأ على الناس فضائلَ عليّ بن أبي طالب، فقال ابنُ جرير: تكبيرةٌ من حارسٍ! تاريخ بغداد للخطيب (١١/ ١٣٦)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٨٧).

قال العلامةُ المَعْلَمِيُّ: «مقصودُه أنه كما أنَّ الحارسَ قد يقول رافعاً صوته: (الله أكبر)، لا ينوي ذكرَ الله عز وجل، وإنما يقصد أن يسمع السُّراقُ صوته فيعرفوا أنه موجودٌ يقظانٌ، فلا يُقدِّموا على السرقة! فكذلك قد يكون ابنُ أبي داود يروي فضائلَ علي؛ ليدفع عن نفسه ما رماه بعضُ الناس من النُّصب - وهو بُغْضُ عليّ رضي الله عنه -». التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٢/ ٥١٨).

- ومنه قول يحيى بن سعيد القطان: «دعاءُ أصحاب الحديث للمحدث كتكبيرة الحارس»!! رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣٥١)، والسمعاني في أدب الإملاء والاستملاء (ص/ ١١٣) رقم (١١٨). وانظر التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص/ ٣٢) لبكر أبو زيد.

- وجاء في حديث أبي بكر بن سلم الختلي (مخطوط) (ق/ ١٥): حدثنا أحمد، ثنا أبو زيد، قال: كنا عند أبي عاصم النبيل، فذكر أبو حفص الفلاسُ عثمانَ فأتنى عليه، فقال له أبو عاصم: «يا أبا حفص هذه تكبيرةُ الحارس!»

(٢) الشوقيات (ص/ ١٨).

(٣) أنشد ابن جرير الطبري لنفسه:

**حيائي حافِظٌ لي ماءً وجهي ورفقي في مطالبتي رَفِيقِي
ولو أني سمحتُ بماء وجهي لكنتُ إلى العُلا سهلَ الطريق!**

سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٢٧٦).

(٤) قال أحمد بن خالد القرطبي لما بلغه أن أصبغ بن خليل القرطبي صحَّفَ أُسيدَ ابنَ خُضير إلى أُسيد بن خُضير! وقال: إنما هو تصغير الخُضير! قال: مسكينٌ أصبغُ؛ يُخطئُ ويُفسّرُ!! تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٥٢).

وهذه - عَمَرَكَ اللهُ^(١) -

بلوّةٌ فوق بلوّةٍ، وسَقَامٌ فوق سُقْمٍ، تَتَرَى بغيرِ حِسَابٍ!

- ٢ -

والذي أراهُ قد تَقَرَّرَ عندَ هذا النَاشِرِ - وَمَنْ كانَ على شَاكِلَتِهِ - أَنْ : المَالُ هو الأَصْلُ ! وأنَّ لا أَصْلَ عندهم سِوَى هذا الأَصْلِ !!

يَتَنَظَّمُ مَسْلَكُهُم قَوْلُ القَائِلِ :

مَطَالِبُ العَالَمِينَ أَشْتَاتٌ وَكُلُّهُمْ مَعْنَاهُمْ : هَاتُوا!

وإنَّما العِلْمُ وما دُونَهُ من الصَّنَاعَاتِ جِبَالَاتٌ!!^(٢)

(١) مَعْنَى عَمَرَكَ اللهُ، أَي: أَبْقَاكَ اللهُ. انظر كتاب الألفاظ لابن السكيت (ص/ ٤٣٤)، ومجمل اللغة لابن فارس (ص/ ٦٢٩).

فائدة: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «أخبرني هشام ابن الكلبي، أن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، تزوج الثريا بنت فلان، من بني أمية، من العبلات، وهي أُمِّيَّة الصغرى، فقال عمر بن أبى ربيعة - أنشدنيهِ عنه الأصمعيّ -:

أيها المُنْكَحُ الثَّريَا سُهَيْلاً عَمَرَكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟

هي شاميةٌ إذا ما استقلَّتْ وسهيلٌ إذا استقلَّ يمان!

قال أبو عبيد: جعل لهما النجوم مثلاً؛ لاتفاق أسمائهما للنجوم. قال: ثم قال: هي شامية، فعنى الثريا التي في السماء، وسهيلٌ يمان، وذلك أن الثريا إذا ارتفعت اعترضت ناحية الشام مع الجوزاء حتى تغيب تلك الناحية. قال: وسهيل إذا استقل يمان؛ لأنه يعلو من ناحية اليمن. فسَمَّى تلك شاميةً، وهذا يمانياً، وليس منهما شأم ولا يمان، وإنما هما نجوم السماء، ولكن نسب كل واحدٍ منهما إلى ناحيته». غريب الحديث (٢/ ١٦٣).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (٢/ ٤٢٧).

فقد صار المالُ الهدفَ الرئيسَ لهذا الحَنَدُقُوقِ ^(١) وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُ مِنْ أَصْحَابِ
دورِ (النَّشَلِ) ! ^(٢) وما أَكْثَرُهَا - لا كَثَرَهَا اللهُ - في هذا الزمان ! أما العِلْمُ، فلا
مكانَ ولا مكانةَ له عندهم البتَّة !!
لسانُ حالٍ أحدهم يردُّ ما قاله ابنُ أبي البَغَلِ ! ^(٣) :

(١) قال ابنُ السراج في شرح كتاب سيويه: الحَنَدُقُوقُ: الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الْمُضْطَرِبُ
شِبْهُ المَجْنُونِ. وقال غيره: شِبْهُ الأَحْمَقِ. وفَسَّرَه السَّيرافيُّ أيضاً بمثل قولِ ابنِ
السَّراج. انظر تاج العروس للزبيدي (٢٥ / ٢٠٧).

(٢) **لطيفةٌ**: أصبح الناسُ يتعارفون في هذا الزمان أنَّ النَشْلَ هو السرقةُ على غِرَّةٍ، بخفَّةٍ يدٍ !
وهي كلمةٌ (مُحدَّثةٌ) كما في المعجم الوسيط (٢ / ٩٢٣).

قلتُ : لكنَّ هذا المعنى المُحدَّثَ له أصلٌ في اللغة، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور
(١١ / ٦٦١) : «نَشَلَ الشَّيْءُ يَنْشُلُهُ نَشْلاً: أَسْرَعَ نَزْعَهُ». وهذه صفةُ النَشالِ الذي يُسرِعُ بنزعِ
حافظة النقود !!

(٣) هو محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل أبو الحسين الكاتب. من كُتَّابِ
الدواوين، وليَّ الجبل وأصبهان مدة، وله نظم ونثر، توفي مسجوناً في حُدُود سنة
(٢٩٩ هـ).

ومن بديع شعره قوله :

صافحتُ إِبْرِيْقَةً فتمنَّمتُ لي حتَّى توهمتُهُ كَتَّاءً

حتَّى إذا عادَ في فصاحتِهِ عادَ لسانِي لسانَ فَأُفَاءٍ !

ومن لطيف ما حُكي عنه أنه قال يوماً : وُلِدَ لي سِبْطٌ فما أَسَمِيهِ ؟ ف قيل له : لا
تُخرج من الاصطبلِ وسمِّه ما شئت !!
يعني لأنَّ اسمَه : ابنُ أبي البغل !

انظر الفهرست لابن النديم (ص / ١٦٩) ، والوافي بالوفيات للصفدي (٢ / ٣٦) ،
ومحاضرات الأدباء للراغب (٢ / ٣٦٨) ، وتحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصابي
(ص / ٣٨٢) ، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون البغدادي (٧ / ٢٤٩) ، والمحَبِّ
والمحبوب والمشمووم والمشروب للسري الرَّقَّاء (ص / ٣٥٤) ، وهديَّة العارفين
للبياني البغدادي (٢ / ٢٣).

لو كنتُ أجهلُ ما علمتُ لسرّني جهلي، كما قد ساءني ما أعلمُ !!

الصَّغُو^(١) يصفو آمناً من جهله حِسَ الهَزَارُ^(٢) لآنه مترنم^(٣)

أو ما قاله صِنُوهُ المَقْدَمُ للَجْهَلِ ! :

جمعتُ فنونَ العلمِ أبغي بها الغنى ويمنّعي مما أحاوله القُلُّ
تبيّنَ لي أنّ العلومَ بأسرها فروغٌ وأنّ المالَ قطعاً هو الأصلُ !!^(٤)

أما ثالثةُ الأثافي، فهي قولُ مُثِيرِ الهِنَافِ^(٥) :

المالُ يستر كلَّ عيبٍ في الفتى والمالُ يرفعُ كلَّ نذلٍ ساقطٍ
فعليكِ بالأموالِ ، فاقصِدْ جمعها واضربْ بكُتُبِ العلمِ عُرْضَ الحائطِ !!^(٦)

فيا ضَيعةَ العلمِ، بين ما لا همَّ له في العلمِ إلا المَغْنَمُ !

ولذا تجدُ زُمرةً هؤلاء قد نسجت خيوطها حولَ (البنكنوت)^(٥)، كفعل

(١) الصَّغُو: صِغَارُ العَصَافِيرِ، والأنثى: صَعْوَة، وهو طائرٌ أحمرُّ الرأسِ . انظر العين للفراهيدي (٢/ ١٩٩)، وحياة الحيوان الكبرى للذّميري (٢/ ٨٧).

(٢) الهَزَارُ: هو العَنْدَلِيبُ. الصحاح للجوهري (١/ ١٨٩).

(٣) انظر اللطائف والظرائف للثعالبي (ص/ ٥٠)، وديوان المعاني للعسكري (٢/ ٩٢)، والأمثال المولدة للخوارزمي (ص/ ٨٩).

(٤) الهِنَافُ هو: الضَّحِكُ بُسْخَرِيَّةً. تاج العروس للزبيدي (٢٤/ ٥٠١).

(٥) البنكنوت: أوراقٌ مصرفيّةٌ رسميّةٌ مطبوعةٌ يتعامل بها الناسُ بدلاً من المسكوكات النقدية، وأوّل من اتخذها هم الصّينيّون. معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (١/ ٢٤٩).

وجاء في «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» للكُردي (٥/ ٢٧٦) : « لا يُعلم متى بُدئ باستعمال ورق النقد على وجه التحقيق، وقد زعم بعضُ المؤرخين أن الصينيين أوّل من استعمل ورق النقد، ولكن هذا لم يثبت بعد، والأرجحُ أن =

العنكبوت، التي تَسْكُنُ البيوت !

ولقد جاوز عثمانُ بنُ حُمَارِ تَاشِ الهِيتِي ^(١) الصواب، واستوجب العتاب،

=إنجلترا أول من استعمل البنكنوت بعد حرب نابليون.

ويوجد الكلام على البنك والبنكنوت في مجلة مصر الحديثة المصورة بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ التعامل بالفلوس الورق.

وقال ابن بطوطة في رحلته التي كانت سنة خمس وعشرين وسبعمئة من الهجرة ما يأتي: وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم، وجميع ما يتحصّل ببلادهم من ذلك يسبكونه قِطْعاً كما ذكرناه، وإنما بيعهم وشراؤهم بِقِطْعٍ كَأَعْد - الكاغد هو الورق بفتح الواو والراء - كل قطعة منها بقدر الكف، مطبوعة بطبع السلطان، وتُسَمَّى الخمس والعشرين قطعة منها: بِالْشَت، بياء موحدة وألف ولام مكسورة وشين معجم مسكن وتاء معلوّة، وهي بمعنى الدينار عندنا، وإذا تمزقت تلك الكواغد - أي الأوراق - في يد إنسانٍ حملها إلى دار كدار السكّة عندنا، فأخذ عوضها جُذْداً، ودفع تلك الكواغد، ولا يُعْطِي على ذلك أجرّة ولا سواها؛ لأن الذين يتولون عملها لهم الأرزاق الجارية من قبل السلطان، وقد وُكِّل بتلك الدار أميرٌ من كبار الأمراء، وإذا مضى الإنسان إلى السوق بدرهم فضة أو دينار ذهب يريد شراء شيء لم يُؤخذ منه ولا يُلتفت إليه حتى يصرفه بالبالشت ويشترى به ما أراد. انتهى من رحلة ابن بطوطة.

قلت: انظر كلام ابن بطوطة في رحلته المسماة: (تحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار) طبع أكاديمية المملكة المغربية (٤ / ١٢٩).

(١) هو عثمان بن حُمَارِ تَاشِ بن عبد الله، أبو القاسم، من أهل هيت.

قال الصفدي: «كان أديباً فاضلاً مليح الشعر، لطيف الطبع، كيساً طيب العشرة ظريفاً».

وقال محب الدين ابن النجار: «كان متهاوناً في الأمور الدينية، عفا الله عنه»، صنّف كتاب «الخمر وصفاتها»! وتوفي سنة تسع عشرة وستمائة.

ومن شعره لما تزوّج:

كان رأيي أن لا يكون الذي كـ — ان فيا ليتني تُركتُ برايبي
لا يزال الإنسان يخدمه السعـ — دُ إلى أن يقول: بيتَ حمائي!

حينما فضّل المال على الكتاب ! :

المالُ أفضلُ ما ادّخرتَ فلا تكنُ في مِرْيَةٍ - ما عشتَ - مِنْ تفضيلِهِ
ما صنّفَ الناسُ العلومَ بأسْرِها إلا بِحِيلَتِهِمْ على تحصيلِهِ!!^(٣)

ونحوهُ ما كتبه بعضهم إلى عمر بن شُبَّة ناصحاً !!:

أجفأء يا ابن شُبَّة بعد نُصحٍ ومحبّة؟
ولزومٍ للدواويـن وما يُعطوك حَبّة!
ليس يُغني عنك عند الـ قوم سفيانٌ وشُعبَة!
فالزمِ الجهلَ؛ فإنّ الـ جهلَ عند القوم رُتَبَة!
ودع العلمَ فإنّ الـ علمَ في ذا الدهر سُبَّة!!^(١)

وقال بعضُ الشعراء للقاضي ابن خَلّاد الرّامهرْمزيّ^(٢):

قل لابن خَلّاد إذا جئته مستنداً في المسجد الجامع:
هذا زمانٌ ليس يحظّئ به حدّثنا الأعمش عن نافع!!^(٣)

وقوله :

قالوا: هداك الشيبُ، يا ليتني دام ضلالي وعدمْتُ الهدى!!

انظر ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (٢٠٤/١٧)، والوافي بالوفيات للصفدي (٢٦٢/١٣)، وفوات الوفيات للكُتبي (٤٣٨/٢).

(١) اللطائف والظرائف للثعالبي (ص/ ٥١).

(٢) ربما كان هذا النموذجُ والنماذجُ بعده من باب السخرية من أهل ذلك العصر ليس إلّا، أقوله من باب الإنصاف.

(٣) المصدر نفسه.

وقريباً منه قولُ أبي موسى بن عمران:

ما للتجارب من مدىٍّ والمرءُ منها في ازديادٍ
قد كنتُ أحسبُ ذا العلا من حاز علماً واستفادٍ
فلإذا الفقيهُ بغير ما لِ كالخباء بلا عماذٍ!
شرفُ الفتى بضماره إنَّ الفقير أخو الجمادِ!
ما العلمُ إلا جوهرٌ قد بيعَ في سوق الكسادِ! ^(١)

وقال ابنُ لَنَكَّك البصريُّ:

يَا طَالِباً بِالْعِلْمِ حِظّاً مُسْعِداً
إِنْفَاقُ عِلْمٍ فِي زَمَانٍ جَهَالَةٍ
كُنْ سَاعِياً وَمُصَافِعاً وَمُضَارِطاً!
أَوْ مَا رَأَيْتَ مُلُوكَ عَصْرِكَ أَصْبَحُوا
لَا تَلَقَى أَشْبَاهَ الْحَمِيرِ بِحِكْمَةٍ!
فِي ذَا الزَّمَانِ، رَأَيْتَ رَأْيٍ مُخْرِقٍ
تَرْجُو، وَدَهْرٍ عَمِيٍّ، وَسُخْفٍ مُطْبِقٍ
تَنَلِ الرِّغَائِبَ فِي الزَّمَانِ وَتَنُفِّقِ
يَتَجَمَّلُونَ بِكُلِّ قَاصٍ أَحْمَقِ
مَوَّهٌ عَلَيْهِمْ مَا قَدِرْتَ وَمَخْرِقِ!

وقال الأديبُ المصريُّ عبدُ الله النديم في رسالة كتبها لأحد أصدقائه:

يَا صَاحِبِي دَعْ عَنْكَ قَوْلَ الْهَازِلِ
إِجْهَلْ تَجِدْ صَفْوَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
وَدَعْ التَّعَقُّلَ بِالتَّغَفُّلِ يَسْتَقِمُ
وَارْضَ الْبِلَادَةَ تَغْتَنِمُ مِنْ بَابِهَا
وَاسْمَعْ نَصِيحَةَ عَارِفٍ بِالْحَاصِلِ
مَنْ قِسْمَةِ الْقَدَمِ الْغَبِيِّ الْجَاهِلِ!
أَمْرُ الْمَعَاشِ، فَحِظْهُ لِلْغَافِلِ!
مَالاً وَجَاهًا بَعْدَ ذِكْرِ خَامِلِ!

(١) نفح الطيب للمقري (٣/ ٥٩٨).

وإذا أبيت سوى العلوم فلا تضق بحروب دهرٍ لا يميل لفاضل!

قلّب تواريخ الألى سبقوا تجد دنياك ما قيدت بغير الباطل!!^(١)

ومن الأمثال لدى الجهلة الرّعاع: «كفّ بخت، خيرٌ من كُرِّ علم!!»^(٢).

وقولهم: «جهلٌ يعولني خيرٌ من علمٍ أعولهُ»!! وهو من أمثال أهل بغداد^(٣).

ونحوه قول بعضهم:

وما أصنع بالعلم إذا أُعطيت بالجهل؟!^(٤).



لقد أحفظني - إذ ذاك - ما كان من فعل هذا الناشر الأفيّن وأضرابه، فكتبت - وقتها - هذه القصيدة: (الرّهُص والوَهْص)^(٥)؛ ردّعا، ودفعًا، وقمّعا،

(١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي (١/ ٤٢٠).

(٢) اللطائف والظرائف (ص/ ٥٠)، وتحسين القبيح وتقييح الحسن للثعالبي (ص/ ٤٧).
والكُرّ: اثنا عشر وسقًا، والوَسقُ: ستون صاعًا. فالمجموع سبعمائة وعشرون صاعًا،
والصاع يساوي ٢١٧٥ جرامًا تقريبًا، فيكون الكُرّ - بميزان اليوم - ١٥٦٦ كيلو جرام!
انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي (ص/ ٣٠)، ومجمع بحار الأنوار للفتني (٤/ ٣٩٠)،
والمصباح المنير للفيومي (٢/ ٥٣٠)، وبحث تحويل الموازين والمكاييل الشرعية
إلى المقادير المعاصرة للشيخ عبد الله بن منيع (ص/ ٢٣)، منشور في مجلة البحوث
الإسلامية عدد (٥٩).

(٣) الأمثال المولّدة (ص/ ٨٩)، واللطائف والظرائف (ص/ ٥٠).

(٤) اللطائف والظرائف (ص/ ٥٠)، وتحسين القبيح وتقييح الحسن (ص/ ٤٨).

(٥) الرّهُصُ: شِدّةُ العَصْرِ. ومنه: «فرمينا الصيد حتى رهصناه» أي أوهنّاه. انظر تهذيب
اللغة للأزهري (٦/ ٦٩)، والمجموع المغيث لأبي موسى المدني (١/ ٨٢٩)، =

ولا أريد أن أقول: صَفْعًا! وَمَضْعًا! وَرَضْعًا!

يَبْدَأُني لما استأذنتُ شيخِي العَلَّامَةَ، الدُّكْتُورَ / عبدَ العزیز بن محمد آل عبد اللطیف ^(١) - عليه الرحمة والرضوانُ - في نشرها وقتَ ذاك، غَصَنِي ^(٢) عن مُرادِي، وقال لي كلمةً بليغةً تُكْتَبُ بماءِ التَّبرِ المَصْفَى: «أرى أن تُحْدِفَ اسمَه؛ فمثلُ هذا يَفْرَحُ بالهَجاءِ كما يَفْرَحُ غَيْرُهُ بالمدحِ!!!» ^(٣).

=ومجمع بحار الأنوار للفتني (٢/ ٤٠١).

والوَهْصُ: الكسْرُ، والرميُّ العنيفُ، يُقال: وَهَصَه إلى الأرض، أي رماه رميًا شديدًا، كأنه غمزه في الأرض. انظر العين للفراهيدي (٤/ ٧١)، والألفاظ لابن السكيت (ص/ ٩٣)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٠٦٢)، ومجمع بحار الأنوار للفتني (٥/ ١٢٠).

^(١) تتلمذتُ على يد الدكتور / عبد العزيز آل عبد اللطيف رحمه الله تعالى في الدراسات العليا بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية عام (١٤١٥هـ) - مُسْتَمِعًا لا مُنْتَظِمًا إذ كنتُ وقتها قد حصلتُ على الماجستير - وكان - رحمه الله تعالى - مثلاً يُحتذى للعالم العامل.

ولقد كتبتُ عنه مقالاً إِبَّانَ وفاته - رحمه الله - في شهر ذي الحجة من عام (١٤٢١هـ) ونشرته في جريدة المدينة (ملحق التراث) بتاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٤٢١هـ، بعنوان: (مات الناقد ونَفَقَت البهارج!).

^(٢) غَصَنِي: ثَنَانِي. قال ابنُ الأعرابي: غَصَنِي فلانٌ عَن حاجتي يَغْصُنِي أي ثَنَانِي عَنْهَا وكَفَّنِي. تهذيب اللغة (٨/ ٦١).

^(٣) قَلْتُ: بل قد يبحثون عن الهجاء ويتطلبونه ولو بالمال؛ حُبًّا في الشُّهرة!!
فمن أولئك:

- بشارُ بن بُرْد، فقد هجا جريراً الشاعرَ المشهورَ بأشعارٍ كثيرةٍ لِيُجِيبَه فلم يُجِبْه!
فقال بشارٌ: «لم أَهْجُه لأَغْلِبْه، ولكن لِيُجِيبَنِي فأكونَ من طبقتِه، ولو هجاني لَكنْتُ أشعرَ الناسِ!!».

- وهجا الطَّرِمَّاحُ بنُ حَكيمٍ الفرزدقَ، فقال الفرزدقُ يتهاون في أمره ويستحقره وقد عرفَ مقصوده:

إِنَّ الطَّرِمَاحَ يَهْجُونِي لَأَرْفَعَهُ أَيَّهَاتَ أَيَّهَاتَ عَيْلَتُ دُونَهُ الْقَضْبُ !

- وهجا حمادُ عَجْرَدَ بشارَ بن بُرْدٍ، فلم يُجِبْهُ أنْفَةً واحتقاراً، ثم أخطأ بشارُ فَرَدَّ عليه! فقال الجاحظُ: «ما كان ينبغي لبشارٍ أن يُضَادَّ حمادَ عَجْرَدَ من جهة الشعر؛ لأن حماداً في الحضيض، وبشاراً في العُيُوق (اسم كوكب)، وليس مؤلِّدُ قُرُويٍّ يُعَدُّ شعرُهُ في المُحَدَّثِ إلَّا وبشارٌ أشعرُ منه».

- وهجا ابنُ الرومي البحتريَّ - وابنُ الرومي مَنْ قد عَلِمَتْ - فأهدى إليه البحتريُّ تَخَتَ متاعٍ وَكِيسَ دراهمٍ، وكتب إليه لِيُرِيَهُ أَنَّ الهديةَ ليست تَقِيَّةً منه، لكن رِقَّةً عليه، وأنه لم يَحْمِلْهُ على ما فعل إلَّا الفقرُ والحسدُ المُفْرِطُ:

شاعرٌ لا أَهَابُهُ نَبَحْتَنِي كِلَابُهُ !

إِنَّ مَنْ لَا أَعَزُّهُ لِعَزِيزٍ جَوَابُهُ !

ومعنى: نَبَحْتَنِي كِلَابُهُ: أي لَحَقْتَنِي شَتَائِئُهُ. كذا في المجموع المغيث: للمديني (٢٥٣ / ٣).

- وكذا فعل المتنبي حين بُليَ بحماقات ابن حَجَّاجِ البغدادي، فقد سَكَتَ عنه ولم يُجِبْهُ احتقاراً له واطِّراحاً، لأنه ليس من أُنْدَادِهِ ولا في طبقتِهِ.

- ولما وصل أبو القاسم بنُ هانئٍ إلى أفريقية هجَاهُ الشعراءُ، فقال: لا أُجِيبُ منهم أحداً إلَّا أَنْ يَهْجُونِي عليَّ التونسيُّ؛ فإني أُجِيبُهُ، فلما بلغ قولُهُ علياً قال: أَمَّا إني لو كنتُ أَلَمُ الناس ما هَجَوْتُهُ بعد أَنْ شَرَّفَنِي على أصحابي وجعلني من بينهم كُفَّئاً له !

- وهجا مَخْلَدُ بنُ بكار الموصليُّ أبا تمامٍ الطائيَّ بقوله - وقد كانت في أبي تمام حُبْسَةٌ شديدةٌ إذا تكلَّم - :

يا نبيَّ الله في الشعرِ ويا عيسى بنَ مريمَ !

أنتَ مِن أشعرِ خلقِ الله ما لم تتكلَّم !

وهجا بأشعارٍ أخرى كثيرةٍ، منها قولُهُ :

انظرُ إليه وإلى حُبِّهِ كيف تطايا وهو منشورُ !

وَيَحْكُ مَنْ دَلَاكُ فِي نَسْبَةٍ قَلْبُكَ مِنْهَا الدَّهْرُ مَدْعُورُ ؟

إِنْ ذُكِرْتُ طَاءَ عَلَى فَرْسَخٍ أَظْلَمَ فِي نَاضِرِكَ النُّورُ !

فلم يُجِبْهُ أبو تمام، بل رآه دون المَهَاجَةِ والجواب، ولو هجَاهُ لَشَرُفَتْ حالُهُ وَبَّهَ ذِكْرُهُ !

ونزولاً عند رأيهِ؛ فقد عزفتُ عن نشرها آن ذاك، فظَلَّتْ حبيسةً أدراجي
= انظر ما تقدّم في: أخبار أبي تمام: للصولي (ص/ ٢٣٦)، والحيوان: للجاحظ
(٤/ ٤٨٤)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه: لابن رشيق (١/ ٢٢٨) فما بعد.
ضميمة: جاء في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: للمحبّي (١/ ٢٧٩) أنّ
قول ابن حَكِينَا البغدادي في ابن الشجري العلوي :

يا سيّدي، والذي يُعيدُكَ مِنْ نظم قريضٍ يَصُدّا بهِ الفِكرُ
ما فيكَ مِنْ جَدِّكَ النَّبيِّ سِوى أنكَ لا يَنْبغي لَكَ الشُّعرُ !

الطفُ في التعبير بمراتب من قول مخلص الموصلي :

يا نبيَّ الله في الشعر إلخ

وإن كان أصله ما قاله الثعالبي في كتابه المسمى بالشكاية والتعريف : إذا كان الرجلُ
متشاعراً غير شاعرٍ قالوا : فلانُ نبيٌّ في الشعر ! يعني أنه لا ينبغي له ذلك. وانظر
وفيات الأعيان (٦/ ٤٩).

- وقال عبدُ القادر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق (ص/ ١٩٧) عن الزعفراني
صاحب الفرقة الزعفرانية وهي من فرق المرجئة : « ذَكَرَ بعضُ أصحاب التواريخ
أن هذا الزعفرانيَّ أراد أن يُشهرَ نفسَه في الآفاق؛ فأكثرتُ رجلاً على أن يخرجَ إلى
مكة ويسبّه ويلعنه في مواسم مكة؛ ليشتهر ذكرُه عند حجاج الآفاق» !!

- ومن المعاصرين: الكاتبُ المصريُّ/ خالد محمد خالد - رحمه الله تعالى - فقد
فعل في أول أمره الشيءَ نفسَه !

فقد قرأتُ قديماً مقالاً (أوردُه هنا من الذاكرة) نُشر في صحيفة المدينة على ما
أذكر - للدكتور مصطفى عبد الواحد - رحمه الله تعالى - ذكر فيه كاتبه أن الأستاذَ
خالد محمد خالد ألف كتاباً - لعلّه «من هنا نبدأ» الذي دعا فيه إلى فصل
الدين عن الدولة !! - فلم يذغ ولم ينتشر، وظلّ راكداً مدّة من الزمن، فأوعزَ
إلى أحد أصدقائه أن يكتبَ في نقده مقالاً لا ذعاً، ويكيلَ له فيه السُّبابَ والشتائمَ
!! ففعل صاحبُه ما أراد، وجعل عنوانَ مقالِه: كتابٌ زائفٌ لكاتبٍ ضالٍّ !! - أو
عبارةً نحوها - ثم سلّم المقالَ للشيخ الأزهري علي الغياقي، لينشره في صحيفته.
وما إن نشره؛ حتّى تهافتَ الناسُ على شراء الكتاب، ونفدتْ نُسخُه خلالَ فترةٍ
وجيزةٍ ! وطُبِعَ ستُّ طبعاتٍ في سنتين ! وترجمَ في نفس السنة التي صدر فيها إلى
الإنجليزية ! وكتبتُ عنه مقالاتٌ عدّةٌ في أنحاء متفرقةٍ من أوروبا وأمريكا !! =

أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً! ^(١).

- ٤ -

ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ الْيَوْمَ - وَقَدْ اسْتَفْحَلَ الْخُطْبُ، وَاتَّسَعَ الْحَرْقُ - أَنْ أَفْلِكَ
أَسْرَهَا، وَأَكْشِفَ سِتْرَهَا، وَأَمْضِيَ نَشْرَهَا، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ!
وَأُحِبُّ أَنْ أُشِيرَ هُنَا إِلَى أَنِّي قَدْ صَرَفْتُ قَصِيدَتِي هَذِهِ عَلَى الْقَوَافِي الْعَوِيصَةِ:
(الضَّاد)، و (الذَّال)، و (الشَّين)، و (الطَّاء)، و (الثَّاء)! لَا حُبًّا فِي هَذِهِ الْقَوَافِي! وَلَا
إِبْرَازًا لِلْمَلَكَةِ! ^(٢)، لَكِنْ خَشِيتُ أَنْ تَرُوقَ لِأَحَدٍ هَؤُلَاءِ النَّاشِرِينَ فَيَسْرِقَهَا وَيَطْبَعَهَا!!!

= ثُمَّ إِنْ الْأَسْتَاذَ خَالِدًا تَابَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا رَأَى مِنْ حِفَاوَةِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ
بِالْكِتَابِ! وَأَدْرَكَ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِيهِ، وَأَعْلَنَ عَلَى الْمَلَأِ رَجُوعَهُ عَنْهُ، وَصَارَ فِيمَا بَعْدُ
كَاتِبًا إِسْلَامِيًّا.

^(١) نَمَا إِلَى عِلْمِي أَنَّ الشَّيْخَ الْعَلَامَةَ الثَّبْتَ / بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو زَيْدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى - لَمَّا بَلَغَهُ خَبْرُ قَصِيدَتِي هَذِهِ تَمَنَّى أَنْ لَوْ أَدْرَجَهَا فِي كِتَابِهِ (الرَّقَابَةِ عَلَى
التَّرَاثِ)، وَكَانَ قَدْ صَدَرَ حَيْثُهَا.

وَلِذَا رَأَى الدُّكْتُورُ / صَالِحُ الْيَافِعِيِّ مَشْكَورًا تَحْقِيقَ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ لَدَى الشَّيْخِ
بَكْرٍ؛ فَذَيَّلَ بِهَا كِتَابَهُ الَّذِي أَلْفَهُ عَنْ سِيرَةِ الشَّيْخِ بَكْرٍ أَبُو زَيْدٍ وَأَخْبَارِهِ، وَهُوَ مِنْ
مَطْبُوعَاتِ دَارِ التَّوْحِيدِ بِالرِّيَاضِ.

^(٢) **إِضَاءَةٌ:** كَانَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَطْلُبُ الْقَوَافِي الصَّعْبَةَ؛ وَلَعَّا بِالْإِغْرَابِ، وَإِبْرَازًا لِلْمَلَكَةِ!
وَمِنْ الْعَجَبِ الْعَاجِبِ أَنَّهُ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ وُجُورِ هَذِهِ الْقَوَافِي، وَصَعُوبَةِ تَطْلُبِهَا،
إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْظُمُونَ عَلَيْهَا الْقَصَائِدَ الطُّوَالَ!!
وَقَدْ بَسَطْتُ لَكَ هُنَا بَعْضَ الْمَوَائِدِ مِنْ تِلْكَ الْقَصَائِدِ! فَلَا تَضْجِرَنَّ مِنْ طُولِهَا،
وَاشْدُدْ حَيَازِيْمَكَ لَهَا، فَكَمْ فِي الْمَوَائِدِ مِنْ فَوَائِدِ!

فَمِنْ أَوْلَئِكَ الشُّعْرَاءِ:

- أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّزَاقِ بْنِ عَلِيٍّ الْقَيَّرَوَانِي:
قَالَ عَنْهُ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي كِتَابِهِ «الْأَنْمُودَجُ»: «قَادِرٌ، يَطْلُبُ الطَّبَاقَ وَالتَّجْنِيسَ طَلْبًا
شَدِيدًا، بِالتَّصْرِيفِ، وَتَبْدِيلِ الْحُرُوفِ، وَيَسْتَعْمَلُ الْقَوَافِي الْعَوِيصَةَ، وَيَبْعِدُ الْمَرَامِي =

= تحلّقاً على المعاني، ولا يكاد يهمل من التصنيع إلا ما أفلته ... كتب إليّ - لما صنعتُ هذا الكتاب - صُحبةً بُذِرَ أنفذها إليّ لأثبتها:

يا مبرزاً إبريز خير سبيكةٍ	ومكلاً إكليل خير متوجٍ
ومطرزاً حلّل البلاغة مُعجزاً	كل الوريّ ببراعة «الأنموذج»
فكأنه للسمع لفظُ أحبةٍ	وكأنه للعين روض بنفسجٍ
وكأنه للقلب سحرُ علاقةٍ	في مهجة تخشى الصدود وترتجي
خصّصَتْ أهلَ الغرب منه بمُشرقٍ	بأقرّ من شمس النهار وأبهجٍ
رجّحت بين ذوي الفصاحة منهم	وفضلت بين مرتّبٍ ومسبّجٍ
وكشفت عن شعري لتلحقه به	فاستر على خلّ لسترك مُحوّجٍ

ينظر الوافي بالوفيات للصفدي (١٨/ ٢٢٩)، إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (٢/ ١٧٤).

- **ومنهم:** علي بن عبد الكريم المعروف بابن غالب من أبناء المهدية : قال ابن رشيّق: « شاعرٌ مذكورٌ، كثيرُ الافتنان، واسعُ العَظَن في أنواع علوم الدين والدنيا، قديرٌ في التطويل وركوب القوافي الصعبة العويصة، سريعُ الصنعة، يذهب في الشعر كلّ مذهبٍ، وينحو في الرجز نحواً عجيباً، ويتعرّب كثيراً» ومن شعره قوله :

سأصنع في ذمّ العَذار بدائعاً	فمن شاء يقضي بالدليل كما أقضي
ألا إنه كاللّام، واللّام شأنها	إذا ألصقت بالاسم صار إلى نقض !

ينظر الوافي بالوفيات (٢١/ ١٧٥).

ومنهم: أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت ٣٣٥هـ) : وكان ممّن أُولع بهذه الصنعة حتّى صار أستاذاً فيها، وله عدّة قصائد تجري على هذا الحَذو. - فمن ذلك ما ذكره عن الخليفة الراضي أنه أمره أن يعمل قصيدةً على قافية الضاد، قال : «فعملتُها، فلما وصلنا إليه في ذلك اليوم، أنشده أحمد بن يحيى، وعلي بن هارون، قصيدتين يهنّئانه فيها بالخلافة، ويصفان سرورهما =

= لاغتيابهما، فاستمعتهما وأظهر استحسانهما، ثم أمر بإنشاد الضادية فأنشدته أياها، وأنا أذكرها هاهنا؛ لأنها ليست من الشعر الذي يأباه القلب ويمجّه السمع! وفيها مدح لابن ياقوت وللوزير وهي:

أَصْبَحَ الْمُلْكُ عَالِيًا بِأَبِي الْعَدَا
وَاسْتَفَاضَ الشُّرُورُ فِي سَائِرِ الدَّ
رَضِيَ اللَّهُ هَدْيَهُ فَاصْطَفَاهُ
مَنْ عَدَّتْهُ الْعُلُومُ يَرْفَعُ مِنْهَا
كَمُلُ الْفَضْلِ وَالْفَضَائِلُ فِيهِ
فَهُوَ بِالْعِلْمِ وَالتَّفَرُّغِ فِيهِ
خَطَرَتْ نَحْوُهُ الْخِلَافَةُ طَوْعًا
وَاضْطِفَاقٍ مِنَ الْأَكْفِ دِرَاكًا
مَرَضَ الدِّينُ قَبْلَهُ وَأَتَاهُ
وَاسْتَلَذَّ الزَّمَانُ إِذْ أَسْفَرَ الْمُلْـ
وَاجِدٌ بِالْعُلُومِ وَجَدَ مُحِبًّا
يَرِدُ النَّاسُ مِنْهُ أَغْدَارَ جُودٍ
حَمِدُوا مِنْ مُحَمَّدٍ حُسْنَ مُلْكٍ
نِعَمَ لِلْوَلِيِّ مِنْهُ حَبَاهُ
تَمْلِكُ الْخَطْبَ مِنْهُ عَزْمُهُ رَأْيِ
وَمَضَى فِيهَا، إِلَى أَنْ قَالَ :

يَا إِمَامَ الْهُدَى اسْتَمِعْ لَوَلِيِّ
بَذِلْ النَّفْسِ، وَاجِبٌ لَكَ مَحْضُ الدَّ
كُلُّ عَاصٍ بِجِلْدَتِهِ الْعُـ
يَفْضُلُ النَّاسَ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْبَأْ
قَبْلَهُ الْحَرْبُ حِينَ تُجْتَنَّبُ الْحَرْ
عَصَدَ الْمُلْكُ فِيهِ بِالْأَيْدِ الْـ

سَائِرِ فِي مَدِيحِكُمْ رَكَاضِ
نَضْحَ، مِنْ أُسْرَةٍ لَكُمْ أَمْحَاضِ
رُّ، فَهَمَّ هَائِثُوهُ بِالْحَضْحَاضِ
سِ كَفَضْلِ الدَّيْسِ لَابْنِ مَخَاضِ
بُ وَتُرْدَى خِيُولَهَا فِي الْعِرَاضِ
عَالِمِ شَافِي الْمَحَلِّ بِالْإِحْمَاضِ

مَا الْمَصَاعِيبُ فِيهِ كَالْأَخْفَاضِ
قَاتِلِ الْمَحِلِّ جَابِرِ الْمُنْهَاضِ
رَفُ قَصْدُ السَّهَامِ بِالْأَنْبَاضِ
فَرَضِ فَإِنِّي أَرَاهُ كَالْإِفْتِرَاضِ
مُسْتَقِيلٌ بِرَأْيِهِ نَهَاضِ
جَامِحًا آبِيًا عَلَى الرُّوَاضِ
شَكُّ وَلَا حَالُ دُونَهُ بِاغْتِرَاضِ
وَسَهَادٌ عَلَى عَدُوِّكَ قَاضِي
فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي مَعَ الْخَوَاضِ
بِاجْتِمَاعٍ مِنْهُ لَا بَارِضَاضِ
سَحَّ بِشَكْوَى مُغَاضِبٍ أَوْ مُرَاضِي
لَكَ وَلَكِنَّهَا بَغْيٌ وَفَاضِ
جَابِرَاتٍ لِلْعَظَمِ بَعْدَ انْهِاضِ
قَيَّدَتْ سَعْيُهُ بَغْيِ الْإِيَاضِ
نَفَثَ أَنْيَابَ حَيَّةٍ نَضْنَاضِ
رُمُ بِالرَّأْيِ مِنْهُ كُلُّ انْتِقَاضِ
سَامِيًا وَالْعَدُوُّ ذُو إِغْضَاضِ

بَاذِلِ الرَّأْيِ سَالِكِ شِعْبِ عَزْمِ
أَخْصَبَتْ أَرْبُعُ الْوَرَى بِإِمَامِ
عَرَفَ النَّاسُ فَضْلَهُ مِثْلَ مَا يُعْـ
مَنْ رَأَى حُبَّهُ كَنَافِلَةِ الْـ
أَيَّدَ اللَّهُ مُلْكُهُ بِوَزِيرِ
عَالِمٍ بِالزَّمَانِ قَدْ رَاضٍ مِنْهُ
لَمْ يَطْفُ بِالْيَقِينِ مِنْ ظَنِّهِ الشَّـ
ضَرَبَ فِي لَهْيٍ وَلَيْكَ مَاضٍ
نَاصِحٌ لَمْ يَخْضُ ضَحَاضِحَ غِشٍّ
مَوَّلَ اللَّهُ بَيْتَ مَالِكَ مِنْهُ
غَيْرَ مَا حَافِلٍ إِذَا انْتَحَلَ النَّصْـ
مِنْ أَنْاسٍ أَقْلَانُهُمْ أَسْهُمُ الْمُلْـ
جَامِعَاتِ لِلْأَمْرِ بَعْدَ افْتِرَاقِ
مَا رَأَتْ سَاعِيًا عَلَى الْبَيْنِ إِلَّا
نَفَثَتْ بِالْمَدَادِ سُمًّا عَلَيْهِ
فَانْقَى يَا سَيِّدَ الْمُلُوكِ لَهُ تُبْـ
وَتَمَلَّ النَّيْرُوزَ تَسْعِينَ عَامًا

فقال - وكان عالماً بالشعر ناقدًا -: ما أعرف مثل هذه الضادية لقديم ولا محدث، وإنما لِحْمَتُكَ رَمِيتَ بها كما كانت (قَدْ جَبَرَ الدِّينَ إِلَهُ فَجَبَرَ) حُمَةُ الْعَجَّاجِ رَمَى بها، فقلت له: يُبْقِي اللَّهُ سَيِّدَنَا، وَهَذَا هُنَا حُمَاتٌ مِثْلُهَا كَثِيرَةٌ! . كتاب الأوراق للصولي (١٠/٢ - ١٦).

قلتُ: قوله: (وإنها لِحْمَتُكَ رَمِيتَ بها)، الحُمَةُ: الإبرة التي تَضْرِبُ بها العقربُ والزنبورُ ونحو ذلك. انظر جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ١٠٢)، والمعجم الوسيط (١/ ٢٠١).

والمعنى أنه قد بذل أقصى ما يملك، وأهم ما عنده، وليس بقادرٍ على أن يأتيَ بمثلها !

وقوله: (قَدْ جَبَرَ الدِّينَ إِلَهُ فَجَبَرَ)، هذا من الرجز الفائق الذي قاله العجَّاجُ ! =

= قال أبو عبيدة: « ما زالت الشعراء تقصّر بالرُّجَّاز حتى قال أبو النجم:

الحمد لله الوهوب المَجْزِل

وقال العجاج:

قد جَبَرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَرُ

وقال رؤبة:

وقاتم الأعماقِ خاوي المُخترقُ

فانتصفوا منهم». انظر الأغاني للأصبهاني (١٨٣-١٨٤)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١٦٢/٧).

- وقال أيضاً: « وافئ راعبٌ خادمُ الراضي بالله من الثغر، وكان قد شهد الفداء إلى الموصل، فوجه به الراضي، فلقينا بين الحديثة والسن، فسلمنا عليه، وكانت معه دواب، فحمل القاضي عليها؛ لأن الراضي أمره بذلك، وأراد أن يتقدم وصوله، وتبعه من كان له مركوبٌ، وبقينا نحن أياماً كثيرةً إلى أن وصلنا إلى الموصل، ودخلنا إلى الراضي بعد عشرين يوماً من مفارقتنا إياه، وكان في نفسي ما قاله الراضي حين أنشدته قصيدتي الضادية وقت جلوسه: «هذه حُمْتُك رَمِيتَ بها». وأردتُ أن أعمل قصيدةً أشكو فيها غرقنا وما نالنا فقلت: والله لأجعلنها ضاديةً؛ ليعلم أن تلك لم تكن حُمَتي! وأنه قد بقيت لي قصيدةٌ - وأنا في الزورق مع ابن حمدون - نحو تلك القصيدة في الطول وهي:

هَذَا تَجَنُّ مِنْ حَبِيبٍ يُرْتَضَى!
فَاللهُ يَصْرِفُهُ بِمَا فِيهِ قَضَا
أَمْتُ مَطَايَاهُ بِهِ ذَاتِ الْأَصَا
يُخَوِي الْمَعَانِي إِنْ رَمَى أَوْ أَنْبَضَا
فَوَجَدْتُ ذَا عَسَلًا وَذَا جَمْرَ الْغَضَا
يُغْنِيكَ غُمُّكَ بِالتَّكْدُرِ إِذْ مَضَى
إِنَّ الزَّمَانَ لَمُقْتَضٍ مَا أَقْرَضَا
لَا بُدَّ أَنْ تَلْقَى الَّذِي لَكَ قُبَضَا
وَرَأَيْتَ تَحْتَ الرَّجْلِ مِنْهُ مَدْحَضَا

أَبْغَضْتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا بُذِلَ الرِّضَا؟
لَا تَجْزَعَنَّ لِلْبُعْدِ تَوَعُّدُهُ عَدَا
ظَلِمَ الْحَبِيبُ فَأَظْلَمَ الْبَيْتُ الَّذِي
قَدْ قَالَ بَشَارًا وَكَانَ مُسَدِّدَا
قَدْ ذُقْتُ أُلْفَتَهُ وَذُقْتُ فِرَاقَهُ
خُذْ مِنْ زَمَانِكَ مَا صَفَا لَكَ قَلَمَا
وَاصْبِرْ عَلَى غَرَقٍ يَنْعَمِي نَلَّتْهَا
فَهَوَيْتَ فِي لُجِّ عِلَاقِ عِبَابُهُ
إِنْ قُمْتَ فِيهِ لَمْ تَطْلُهُ لِنُغْزَرُهُ

وَتَسَرَّعْتُ مِنْهُ إِلَيْكَ حِجَارَةً
وَكِسَاكَ مِنْ يَدِهِ وَلَمْ تَسْتَكْسِهِ
نَجَاكَ مَنْ نَجَا بِلُطْفِ يُونُسَا

تَذَرُ الصَّحِيحَ مِنَ الْعِظَامِ مُرَضًّا
عُشْرًا يُؤَلِّفُهُ الْمُدُودُ وَعِرْمًا
مِنْهُ، وَكَانَ لِقَبْضِ رُوحِكَ مَعْرَضًا

ومضى فيها، إلى أن قال :

يا واحدَ الكَرَمِ الَّذِي نَلَقَى بِهِ
خُذْهَا إِلَيْكَ قَوَائِمًا قَدْ لَبَسَتْ
كَانَتْ مُجَمَّحَةً الظُّهُورِ نَوَافِرًا
لَفْظًا أَلِفًا لِلْقُلُوبِ مُحِبًّا
مِنْ شِعْرِ مَقْصُورِ الْمَدَى مُتَكَلِّفٍ
وَكَاثَهُ ثِقْلًا فِرَاقُ أَحَبَّةٍ
بَلْ مُرْسَلًا طَبْعًا فَسِيحًا ذَرْعُهُ
وَإِذَا آمَالَ إِلَيْهِ سَمْعًا صَاعَدَتْ
أَحْذَاكُهُ مَنْ لَا يَزَالُ ضَمِيرُهُ
أَفْنَى الزَّمَانِ بِخِدْمَةِ لَكَ آمَلًا
وَمَدَائِحَ سَبَقَتْ إِلَيْكَ بِأَسْرَهَا
مَا شَرَفَتْهُ خِدْمَةُ لَكَ قَبْلَهَا
وَأَصَابَ مَرْعَى فِي فِتَائِكَ مُمَرِّعًا
إِذْ سَيْفُ عَزْمِكَ كَامِنٌ فِي جَفْنِهِ
هَٰذَا سَوَابِقُ لَا يَمُتُ بِمِثْلِهَا
فَأَفْذُ وَعَوْضُ مَا دِحَا لَكَ رَاجِيًا

وَجَهَ الزَّمَانِ إِذَا تَسَوَّدَ أَبْيَضًا
رَقْمًا أَبَى تَحْسِينُهُ أَنْ يُرْفَضَا
فَأَتَتْكَ لَيْنَةُ الْمَقَادَةِ رِيضًا
لَمْ يُلَفِّ وَقَرَأَ فِي الْمَسَامِعِ مُبْعَضًا
إِنْ رَامَ نَهْجًا فِي طَرِيقِ أَذْخَضَا
نَادَى بِهِ دَاعِي الشَّتَاتِ وَحَضَضَا
قَدْ شَفَّ ذَا الْبَاعِ الْقَصِيرِ وَأَرْمَضَا
أَنْفَاسُهُ؛ أَسْفًا عَلَيْهِ وَأَبْغَضَا
عَمَّا كَرِهْتَ مِنَ الْمَذَاهِبِ مُعْرَضَا
مَا نَلْتَهُ، فَأَنْتَ غَايَاتِ الرِّضَا
يَأْتِيكَ قَائِلُهَا بِهَا مُتَعَرِّضَا
حَتَّى مَلَكَتَ فَدَسَّهِنَّ مُعَرِّضَا
فَأَخَلَّ فِيهِ بِالْحُظُوظِ وَأَحْمَضَا
أَرْجُو أَنْتِضَاكَ لَهُ وَلَمَّا يُتَنَضَّى
مَنْ قَدْ أَتَى خَلْفَ السُّكَيْتِ مُرْكُضَا
فَلَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَقَالَ وَعَوَّضَا

فلما أنشدته إياها قال: صدقت يا صولي، قد بقيت لك حُمَاتُ! وهذه الضاديةُ أفحلُ كلامًا من تلك، وتلك أنعمُ لفظًا، وكتاتهما في نهاية الجودة. فقلت: أنا واللَّهُ - يعلمُ سيِّدنا - بالشعر أحرُسُ إذا مدحته، فضحك». كتاب الأوراق للصولي (١٢٣ - ١٢٨).

- وقال أيضًا: « كان الراضي وعدني بقص كنت استحسنته، فكتبته إليه بقصيدة أسأله فيها التوجيه إليّ بالفص، فكتب إليّ إنما أترفج بما يرد عليّ من جهتك، =

=فاكتب إلي بشعر صاديٍّ، قافيته الفصّ، فعلت القصيدة، وكتبت بها إليه، وهي:

أَلَا قُلْ لَخَيْرِ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا
مَحَمَّدِ الْمَأْمُولِ وَالْمُقْتَدَى بِهِ الْ
وَمَنْ جَمَعَ الْأَدَابَ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا
دَقِيقِ حَوَاشِي الذَّهْنِ هُدْبَ طَبْعِهِ
بَعِيدِ الْقُبُولِ مِنْ حُسُودِ مُكَاشِرِ
لِئِنْ سَاغَ لِي أَكْلِي وَشُرْبِي فَإِنِّي
وَقَدْ كُنْتُ ذَا حَظٍّ لَدَيْهِ وَزُلْفَةٍ
بِفَسْخِ الَّذِي سَدَى وَالْحَمَّ بَاطِلًا
مِنْ أَكْلِبِ خُورَسَانَ نَغْلٍ مُحَقَّرِ
وَأَلْهَبَ مِنْهُ الْجَمْرَ بِالنَّفْخِ حَابِلُ
بُنُو مُعَوَرَاتِ الطُّرُقِ جَاءُوا بِعَوْرَةٍ
أُولُوا بِطَنَةٍ فِي بَاطِلٍ وَتَكْذُوبِ
فَمَا أَسْنَدُوا قَوْلًا إِلَيَّ ذِي تَمَاسِكِ
وَرَهْطًا وَأَجْدَادًا مَقَالَةً مُخْتَصَّ
أَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ ذِي الْفَضْلِ لَا النَّقْصِ
وَتَقَفَهَا بِالْبُحْثِ مِنْهُ وَبِالْفُحْصِ
وَمُحْصٍ فِي قُرْبِ الْمَدَى أَيْمًا مَحْصِ
تَخَلَّفَ عَنْ أَوْلَاهُ بِالنَّزْغِ وَالْفَرْصِ
كَذِي شَرَقٍ مِنْ غَيْبَتِي عَنْهُ مُغْتَصِ
فَجَاءَ الَّذِي حَازَرْتُ فِيهِ عَلَى غَفْصِ
وَقَدْ وَقَصَاهُ عَاجِلًا أَيْمًا وَقْصِ
ضَيْلٍ خَفِيَ الشَّخْصِ فِي صُورَةِ الدَّرْصِ
عَلُوقُ بِأَذْنَابِ الْأَكَاذِبِ كَالشَّصِ
ذَوُ الْأَنْفِ الذِّكَاةِ وَالْأَغْنِ الرُّمُصِ
وَصِدْقُهُمْ يَأْوِي إِلَيَّ أَبْطُنِ حُمْصِ
وَلَا شَيْدُوا زُورَ الْمَقَالِ عَلَى إِصِ

ومضى فيها، إلى أن قال :

فَقُولُوا لِمَنْ قَاسَ الْأَمِيرَ بغيره:
تَيَمَّمْتُ زُورًا فِي الْمَقَالِ وَبَاطِلًا
مَحَاسِنُ هَذَا الْخَلْقِ مِنْكَ ابْتِدَاؤُهَا
كَذَا الْمَجْدُ لَا بِالْمَالِ يُجْمَعُ شَمْلُهُ
فَلَا زِلْتَ لِلدَّهْرِ الْمُمَلِّكَ مَالِكًا
وَحُزْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ أَفْصَى نَهَائِهِ
تَأَيَّدَ، فَمَا الْكَيْلُ الْمُحْصَلُ كَالْخَرْصِ
لَدَى خُرْقٍ سَادَ الصُّخُورَ عَلَى رَهْصِ
وَيَجْذِبُهَا ذُو كُلْفَةٍ مِنْكَ كَاللَّصِ
وِبِالدُّورِ شِيدَتْ بِالْقَرَامِيدِ وَالْجِصِ
يُطِيعُكَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ وَلَا يَعْصِي
تَفَوْتُ مَدَى الْإِحْصَاءِ فِيهَا يَدُ الْمُحْصِي

فوجه بخاتم فصّه ياقوت سمانجوني، ووجه معه بصلية، وكتب إلي: ما أعرفُ
والله مثل هذه الصادية لأحد، وقد بخستك في القيمة اضطراراً لا اختياراً، إلى أن =

= يستقيم الزمان إن شاء الله.

وإنما آتي من الأشعار التي قلتها في الراضي بطرف؛ للحاجة إلى المعنى الذي قلت فيه، وإلا فالشعر كثير فيه، وقد أتيت في عملي (أخبار المقتدر) بشيء يسير منه، إلا أنني أمل أن لا يستهجن الأدباء ما أورد منه؛ لصلاحه وصفوته، وصعوبة قوافيه، وسلامته مع ذلك من تكلف يهجنه، وسخافة لفظ تردله إن شاء الله». كتاب الأوراق للصولي (٢/ ٢٧ - ٣١).

- وقال أيضاً: «كنا ليلة نشرب مع الراضي، فوصلنا، وحيء برغيف كبير بحرف وافر قد عمل من ندى، فرمى به إلينا. وقال: انتهبوه، فبدروني، فاستلبوه دوني، وسخفوا وتبدلوا، حتى تكشف واحد منهم! وكل ذلك بعينه، فسألته العوض، فقال: صف أمرك معهم، وصف الزبيدية؛ فإنك مشغوف بها، وأنا على العبور عليها حتى أعوضك. وانصرفت فعلمت في ذلك قصيدة زائية هي من خير زائية قلت قط! فلذلك أذكرها، وكان ذلك في أيام النيروز، وهي:

عَبَّاسٍ خَيْرِ الْمُلُوكِ فِي النَّيْرُوزِ
دَا بِمُلْكٍ نَامٍ وَعِزٌّ عَزِيزِ
مِنْ ابْرُوزِ وَمِنْ قَيْرُوزِ
وَلَنَا الدَّهْرُ فِيكَ هُرْمُزُوزِ
بَارِزِ بِاللَّجِينِ وَالْأَبْرِيزِ
طَاعَةَ الْحَبِّ بَعْدَ طُولِ النَّشُوزِ
مُزَعَجٍ سَقِيهَا بِكَأْسٍ وَكَوِزِ
لَمْ تَشْبُهُ مَعَايِبُ التَّلْوِيزِ
شَعْرُ الْجَعْدِ صِبْغَةُ الشَّيْرُوزِ

بَارَكَ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْـ
وَأَرَاهُ أَوْلَادَهُ الْغُرَّ أَجْدَا
فَهُوَ أَوْلَى بِهِ وَبِالْجُودِ فِيهِ
لَهُمْ فِي الْهَلَالِ هُرْمُزُوزِ
فَاقْتَبِلْ جِدَّةَ الزَّمَانِ بِعَامِ
ضَاحِكَاتِ أَيَّامُهُ طَائِعَاتِ
وَأَقْضِ حَقَّ النَّيْرُوزِ فِيهِ بِكَأْسِ
فِيهِ نَقْشُ مُلُوكٍ مِنْ يَدَيَّ مَنْ
طَلَعَتْ شَمْسُ وَجْهِهِ تَحْتَ دَاجِي الشَّـ

ومضى فيها، إلى أن قال :

فَاقْضِ فِيهِ بِالْحَزْمِ وَالتَّعْجِيزِ
كِنْ فِي نَحْوِهِمْ وَبِالْمَهْمُوزِ
لَيْسَ لِلْإِتِّحَالِ وَالتَّمْيِيزِ

أَنْتَ أَذْرَى بِالشَّعْرِ مِنْ قَائِلِيهِ
وَكَذَا الْعِلْمُ بِالمَحَرِّكِ وَالسَّـ
لَيْسَ إِلَّا الَّذِي يَضُمُّهُمْ الْمَجْـ

غَيْرَ مُسْتَنْكَرٍ وَلَا مَنَّهُ—
 عَارٍ، يَا خَيْرَ مُنْعِمٍ وَمُجِيزِ—
 بِذِيهَا، وَلَا عَلَى كُتُبِ رُوزِ!—
 هِ، وَأَكْرَمِ بِذَلِكَ مِنْ مَجْنُوزِ—
 نَهَزْتُهُ بِحَظِّهَا الْمَنَّهُ—
 خَاطِفَاتٍ بِهَزَّةٍ وَأَزِي—
 سَيْفِ اللَّهِ ذِي الرَّدَى جُرْمُوزِ—
 فِيهِمْ كَاللُّيُوثِ فِي الْأُمُوزِ—
 رٍ، وَأُنْبَا بِجَانِبِ مَخْبُوزِ—
 وَافِرِ الْحَرْفِ مُشْرِفِ التَّفْرِيزِ—
 جَزِيٍّ وَفَرَاءٍ وَافِيَاتِ الْخُرُوزِ—
 وَابْلَاؤِي مِنْ حَظِّي الْمَجْمُوزِ!—
 نَ كَمْضَمِي الرَّمِيَةِ الْمَثْرُوزِ—
 غَيْرَ مَا مَزْعَجٍ وَلَا مَحْقُوزِ—
 غَيْرَ مُسْتَنْقَصٍ وَلَا مَبْزُوزِ—
 قَاهِرَ الْعَزِّ غَيْرَ مَا مَعْرُوزِ—

فَهُمْ فَوْقَ مَنْ يَرَى قَوْلَ حَقٍّ—
 فَأَجْزَنِي بِقَدْرِ عِلْمِكَ بِالْأَشْ—
 بِدَنَانِيرٍ لَا أَحَالَ عَلَى الْجَهْ—
 وَرَغِيفِ النَّدِّ الَّذِي غَصْبُونِي—
 غَلَبْتَنِي عَلَيْهِ أَيْدِي نِهَابِ—
 سَبَقْتَنِي إِلَيْهِ سَبَقَ ذَنَابِ—
 كَانَ خُتْلًا مِنْهُمْ كَخُتْلِ الْخَوَارِي—
 لَوْ خَشِينَا الْبِدَارَ مِنْهُمْ لَعُنْنَا—
 ثُمَّ أَبَوْا بِجَانِبِ طَيْبِ النَّشْ—
 لَهَفَ نَفْسِي عَلَيْهِ مُلْقَى كُتْرَسِ—
 قَدْ مَوْعِي مِنَ التَّأَسُّفِ تَجْرِي—
 جَمَزْتَنِي فَوَابِتُ الْحِظِّ مِنْهُ—
 قَدْ رَأَى سَيِّدِي وَقُوفِي خَيْرَا—
 فَابَقَ يَا سَيِّدِي بَقَاءَ ثَبِيرِ—
 وَتَمَلَّ الشُّرُورَ سَائِرَ مُلْكِ—
 تَخَطَّطَى مَدَاسَ كُلِّ إِمَامِ—

فلما أنشدته إياها استحسناها وقال: ما أعرف زائيةً مثلها، بل لا أعرف زائيةً إلا للشَّمَاح، وتلك عجوزٌ وهذه شابةٌ! ثم عوضني أحسنَ تعويضٍ بِصَلَةٍ وَنَدٍّ وَعَنْبَرٍ. كتاب الأوراق للصولي (ص/ ٣١ - ٣٨).

- وَكُتِبَ أَيْضًا عَلَى قَافِيَةِ الشَّيْنِ:

لِعَذُولٍ يُلُومُ فِيكَ وَوَاشِ—
 دِلْشَوْقٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ نَاشِ—
 إِنَّ سِرَّ الْمُحِبِّ بِالذَّمْعِ فَاشِي—
 فِي زَمَانِ الْوَصَالِ لِلْهَجْرِ خَاشِي—
 وَحَكِي أَعْيُنَ الطَّبَّاءِ الْعِطَاشِ—

غَشِيَنِي مِنَ الْهُمُومِ غَوَاشِ—
 لَوْ يَلَاقُوا الَّذِي لَقِيْتُ مِنَ الْوَجْ—
 نَمَّ بِالسَّرِّ عِنْدَهُمْ دَمْعُ عَيْنِي—
 مَنْ عَذِيرِي لظَالِمِ أَنَا مِنْهُ—
 أَخَذَ الْقَدَّ مِنْ قَضِيْبٍ رَطِيْبِ—

فَأَنشَدْتُهَا الرَّاضِي فِي إِمَارَتِهِ، فَعَمِلَ فِي قَافِيَتِهَا وَمَعْنَاهَا:

نَحُولُ الْجِسْمِ مِنْ وَاشٍ	وَدَمْعِي لِلْهَوَى فَاشِي
لَأَنِّي فِي زَمَانِ الْوَصِّ	لِ مِنْ هَجْرِكَ لِي خَاشِي
لِإِصْغَارِكَ لِلشُّكْوَى	وَإِصْغَارِكَ لِلْوَاشِي
فَأَوْحَشْتُ بِإِذْنِ نَاسٍ	وَأَنسَتَ بِإِيحَاشِ
عَرَانِي سَقَمٌ نَاشٍ	بِهَجْرٍ مِنْكُمْ نَاشِي

كتاب الأوراق للصولي (ص / ٥٢).

- وعملتُ أيضاً:

حُبٌّ لِأَحْمَدَ قَدْ فَشَا	بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا
يَهْتَزُّ فِي حَرَكَاتِهِ	مِثْلَ الْقَضِيبِ إِذَا مَشَى
خَدَاهُ مِنْ بَرْدِ الدُّجَى	وَالْمُقْلَتَانِ مِنَ الرِّشَا
لَمَّا ظَفِرْتُ بِوَصْلِهِ	وَمَلَكْتُ مِنْهُ مَا أَشَا
أَحْلَى الْبَرِّيَّةِ أَوْ عَلَى	عَيْنِ الَّذِي يَهْوَى غِشَا
وَتَنَاوَمْتُ عَيْنُ الرَّقِيصِ	بِ لَحْتِ أَفْدَاحِ الْوِشَا
وَفَشَا الْحَدِيثُ بِحُوبِنَا	وَالْحُبُّ يَحْسُنُ إِنْ فَشَا!
عَبَثَ الْوِشَاءُ بِوَصْلِنَا	حَسَدًا فُقِّبَحَ مَنْ وَشَا

فعمل هو:

أَفْرَحَ الْقَلْبَ وَالْحَشَا	مُفْتِنٌ لَحْظُهُ رَشَا
مَلَكَ الْجِسْمَ حُبُّهُ	فَبَرَاهُ كَمَا يَشَا!
لَا يُجَازِي عَلَى الْوَصَا	لِ وَلَا يَقْبَلُ الرِّشَا
شَيْءٌ أَنْ يَرْحَمَ الْمُحْجَا	بَ وَهَيْهَاتَ مَا أَشَا
يَا هَلَالًا إِذَا بَدَا	وَقَضِيًّا إِذَا مَشَى
أَفْشٍ وَضَلًّا فَإِنْ هَجَا	رَكَ - لَا كَانَ - قَدْ فَشَا!

كتاب الأوراق (ص/ ٥٣ - ٥٤).

وليعذرنا القارئُ اللبيبُ على استرسالنا مع الصوليِّ هذا؛ فإننا إنما نُحْمِضُ إحماضاً في هذا الكُرَّاسِ!

- **ومنهم:** يحيى بن يوسف الصرصري الحنبلي (ت ٦٥٦ هـ).

فقد ذكر له اليونيني في ذيل مرآة الزمان (١/ ٢٦٦) فما بعد، مدائح نبويّة كثيرة، نظمها على القوافي الصعبة، منها قوله يمدح النبيّ صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وأزواجه :

أبي القاسم الهادي البشير محمد	سليل الكرام الأطييين الملاوث
أعزُّ الورى بيتاً وأشرفُ عنصراً	وأطهرُ عرضاً من عميرة ماعث
بنى لبني سام مناراً سمّوا به	حمى آل حام في الفخار وبافت
تسنّم من غُرِّ المناقب ذروة	أبى شأوها أن يستكنّ لضابث
تخيّره الرحمنُ من آل هاشم	صفيّاً نبياً وارثاً خير وارث
وأُنزل أملاك السماء لنصره	على كل خوّان السريرة ناكث
وأزّره في كل هيجاء بسلة	بأصحابه الشُّوس الكُماة الممارث
بكل كريم الأصل شهم مهاجر	وأنصاره الموفين عند النكاث
هم حفظوا ميثاقه في حياته	وفي موته لم ينقضوا عهداً والث
ولما أتى الأحزابُ بدّد شملهم	بريح وجنّد باهرٍ للولايت
ويوم حنين حين جاءت هوازن	بكلّ غويٍّ ذي شذاة ملايت
فولّوا على الأعقاب حين رماهم	فأغشاهم من قبضة من كثاكت

إلى آخر ما قال.

- **ومنهم:** إبراهيم بن عبد الله بن إسماعيل الصنعاني (ت ١٢٢٣ هـ) :

فقد نظم على القوافي الصعبة والعصيّة فأجاد، ومن شعره قوله :

جاءت على غير وعدٍ بعدما انقطعت	عنها الظنون وذابت دونها المهج
لكن رأيت من رقيبٍ خلّةً فأتت	في روعة الطّبي بالقنّاص ينزعج
فقد سرّت وكُماة الحيّ دائرة	من حولها وسيوف الهند تختلج

حتى قضيتُ لُباناتٍ بها بَعُدْتُ عن التَّصَوُّرِ، لولا أنه الفَرْجُ!
ما كنتُ أَحَسَبُ دَهْرِي قَطُّ يُسَعِدُنِي بها، ولا بِسُمُوهِ زَانِهَا الْبَلْجُ

وقوله :

يَرَاغُ الهَوَى فِي الْقَلْبِ لِلْحَبِّ قَدْ خَطَا وَأَحْكَمَهُ شَكْلًا وَأَوْضَحَهُ نَقْطًا
وَحَرَّرَ فِي مَرْسُومِهِ الْعَهْدَ، إِنَّنِي أَدُومٌ عَلَى حُكْمِ التَّصَابِي وَإِنْ شَطَا
وَلَا زَمَ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالشُّهْدِ فِي الدُّجَى وَلَمْ يَلْتَزِمْ لِي لِلْكُرَى فِي النَّوَى شَرْطًا
لِحَا اللَّهِ قَلْبًا تَاهَ فِي لَجَّةِ الصَّبَا وَقَدْ كَانَ فِي بَحْرِ الْغَرَامِ عِلَا الشُّطَا
فَسَمَّى الَّذِي قَدْ أَخْلَصَ النَّصِيحَ عَاذِلًا وَظَنَّ الَّذِي أَبَدَى الصَّوَابَ لَهُ أَخْطَا
وَعَهْدِي بِهِ لَا يَجْهَلُ الْقَوْلَ إِنَّمَا لَعَلَّ الْهَوَى الْعُذْرِي عَلَى سَمْعِهِ غَطَّى!

انظر البدر الطالع للشوكاني (١/ ١٩)، ونيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر لزبارة الصنعاني (١/ ٢١).

- ومنهم: أبو العباس أحمد بن محمد الأصرم القيرواني (ت ١٢٧٥ هـ) :
ومن عويص شعره قوله في الغزل :

بَشْتُ لَهَا شَوْقِي وَلَمْ يَنْفَعِ الْبَثُّ ففارقني صَبْرٌ وَلَا زَمَنِي بَثُّ
نَأَيْتُ عَلَيْهَا دَرَّةً وَلَطَالَمَا لَبَشْتُ مُعَاطِيَهَا وَمَا مَلَّنِي اللَّبَثُّ
وَكَمْ بَثُّ مَا بَيْنَ السَّوَادِ ثَاوِيًا وَيَسْتَرْنَا مِنْ شَعْرَهَا فَاحْمٌ كَثُّ
وَكَمْ ذَا خَلُونَا فِي الرَّيَاضِ وَبَيْنَنَا حَدِيثٌ لَنَا فِي شُرْبِ رَاوُوقِهِ حَثُّ
كَأَنَّ شَرَابِي إِذْ يُشْعِشِعُهُ الْهَوَى حَدِيثٌ (عَلَيَّ) إِذْ يَصْحَحُهُ (الْلَيْثُ)!
فَإِنْ شِئْتَ قُلْ: شَمْسٌ، وَلَكِنْ هُنَا الذُّكَا وَإِنْ شِئْتَ قُلْ: بَحْرٌ، وَلَكِنَّهُ يَحْثُوا!

- ومنهم: محمد بن محمود بن محمد بن أحمد بن خيار بن القاضي العلوي، الملقب أْبَدَّ (ت ١٢٥٥ هـ) :

قال عنه العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطي في كتابه العُجَاب «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» (ص/ ٤٢) : « شاعرٌ مُجِيدٌ، شديدٌ متونِ القوافي، كأنما ينحت من صخرٍ، مع قَلَّةِ غَلَطٍ، وأَمْنٍ مِنَ السَّقَطِ، كان متضلِّعاً من العريية، قليل الطيش! ». =

=ومن شعره قوله من قصيدة يردُّ بها على قصيدة الأحول التي مطلعها:
ألا بلغا بابَ جاني الحروب وجاني الحروب رهينُ الخطأ
وقصيدته هي هذه:

ألا بَلَّغْنَ بابَ عَنَّا سَلامًا	يناسب مناصبَه الأوسطَا
بأنَّا بَتِيجِجُكَ في دُرُوءِ	من المجد والعزِّ لم تُمْتَطَا
وأهلُ الجبالِ يحوطوننا	جميعًا وكنا لهم أحوطَا
يُجَلِّلون ذَا العِلمِ منسا الجليلِ	ويخشون ذَا الجهلِ أن يفرطَا
وكنا قديمًا سُراةَ الأديمِ	نجدود، ويعطونا من عطا
نُؤمِّن من سَالمِ المسلمينِ	ونجفوا ونسطوا على من سطا
ونحن الكُماةُ ونحن القُضاةُ	والعالمون بما اسْتُتَبَطَا
متى تشعب دعاوى الخصومِ	يكن حكْمنا الفاصلَ المسمَطَا
وأنا أغرنا على معشرِ	لدئِ تَغَرَّيْتَ وإِشْنُكُطَا
وأخرى أغرنا على آخري	— من بتدَيِّجِمارِ وأغورطَا
حملنا الخيامَ وأنضادها	وسِرنا جميعًا ثِقَالًا بطَا
نَجُرُّ العِجافَ رويدًا؛ لئلا	تُخَبَّ فتُبْهَرَ أو تَثْلُطَا
فجاءت عُمَيْرٌ وما جَمَعَتْ	وجاء حُمَيْدٌ وما جَمَطَا
وفرط في الحزم إذ جاءنا	ولو يعلمُ الغيبَ ما فرطَا!
وقد أقسموا جَهْدَ أيمانهمِ	يردُّون حِلْفَ من أَسْخَطَا
وقد يقلبُ الله قلبَ العزومِ	وقد يحنث الحالف المُحلِطَا
وبالبئر صَبَّحهم بُكرةٌ	كما نَبَّه الوَرْدُ سِرْبَ القَطَا
عَذَابَ رجالٍ يُحْسُونهمِ	رأوا ذلك الأمثلَ الأقسَطَا

إلى آخر ما قال من هذا الشعر الجَلَمَد، الذي يَصُكُّ الأَذانَ صَكًّا! ويحكُّ
الأسماعَ حَكًّا!.

ولا أَظُنُّه يَغِيبُ عن بالك هنا حيرانُ المعرَّة = أبو العَلَاءِ؛ فإنه قد برهن في لزومياته
على أنه إمامُ هذه الصنعة!

لطيفة: قال عبدُ الله بنُ الحسن: جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان، فجلس إليّ، =

وبعدُ: فهذه زَفْرَةٌ مَوْثُورٌ، شَعَرَ بِمَا شَعَرَ بِهِ فَشَعَرَ، فَلَرَبِّهَا حَرَّكَ الشَّعْرُ أَحَدًا، فصنع شيئاً يَدْرَأُ بِهِ وَلَا يُدَارِي، بعد أن كَثُرَتْ أَلَا عَيْبُ السَّحَرَةِ، وَغَابَتْ عَصَا الْكَلِيمِ!! وَإِلَى اللَّهِ الْمَشْتَكَى لَا مِنْهُ.

وكتب: أحمدُ بنُ عليٍّ القُرَنيُّ المَدِينِيُّ^(١) كان الله له - طابة ١٤٣٨ هـ

= فقلت له: يا أبا إسحاق، أما يصعب عليك شيءٌ من الألفاظ تحتاج فيه إلى الغريب كما يحتاج إليه سائر الناس ممَّن يقول الشعر؟ فقال: لا، فقلت: إني لأحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة، قال: فاعرض علي ما شئت من القوافي الصعبة، فقلت: قل أبياتاً في مثل البلاغ، فقال من ساعته:

أي عيش يكون أفضل من عيـ	ش كفافٍ قُوتٍ بقدر البلاغ
صاحبُ البغي ليس يسلمُ منه	وعلي نفسه بغي كل باغي
رُبَّ ذي لقمة تعرّض منها	حائل بينها وبين المساغ
أبلغ الدهر في مواعظه بـ	ل زاد فيهن لي على الإبلاغ
غَشَمَنِي الأيامُ عقلي ومالي	وشبابي وصحتي وفراغي!

انظر الأغاني للأصبهاني (٤/ ٤٤)، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون البغدادي (٩/ ٢٣١).
(١) المَدِينِيُّ: نسبةٌ صحيحةٌ للمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. خلافاً لما زعمه صاحب «لحن القول» من أنها نسبة إلى مدينة المنصور ونحوها من المُدن المضافة، فحَسْب!

ولعله اعتمد في ذلك على كلام صاحب «القاموس المحيط»، ولم يرجع للمصادر المتخصصة في الأنساب!!
 والصحيح أنه يُنسب للمدينة النبوية أيضاً، فيقال: المَدِينِيُّ.
 قال ابنُ القيسراني: المنسوبُ إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له: المَدِينِيُّ والمدني، وفيهم كثرةٌ. ثم ذكر بعضهم. انظر الأنساب المتَّفَقَة (ص/ ١٣٧).
 وقال السمعاني: «المَدِينِيُّ: بفتح الميم والبدال المهملة المكسورة بعدها الياء آخر =

=الحروف وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى عدة من المدن، منها مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر ما يُنسب إليها يقال: «المدني»، وإلى مدينة السلام بغداد، وإلى مدينة أصبهان، وإلى مدينة نيسابور، وإلى المدينة الداخلة بمرو، وإلى مدينة بخارا، وإلى مدينة سمرقند، وإلى مدينة نسف، وغيرها من المدن. فأما النسبة إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثر من أن تُحصى». الأنساب (١٢ / ١٥٢).

وبنحوه قال ابن الأثير في اللباب في تهذيب الأنساب (٣ / ١٨٤) والسيوطي في لب اللباب في تحرير الأنساب (ص / ٢٣٩).

وقال النووي: «أما المَدِينِيُّ والمدنيُّ فنسبةٌ إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، والقياسُ المدنيُّ بحذف الياء، ومن أثبتها فهو على الأصل». المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١ / ١٠٨).

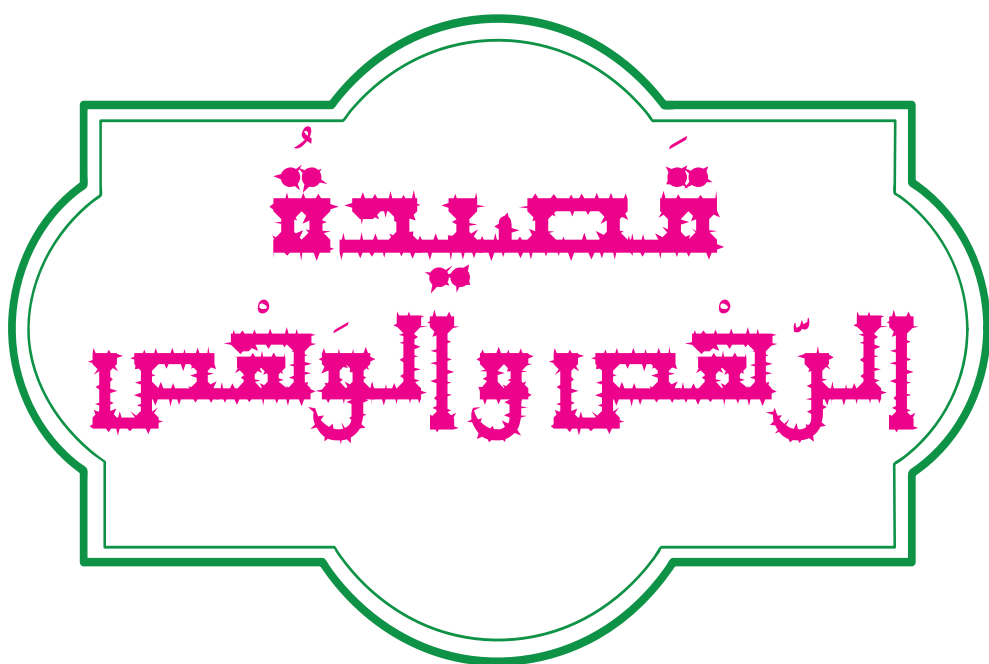
وقال ابن ناصر الدين: «المَدِينِي: بفتح أوله، وكسر الدال المهملة، تليها مثناة تحت ساكنة، ثم نون مكسورة، نسبةٌ إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثر ما يُنسب إليها مدنيّ». توضيح المشتبه (٨ / ١٠٠).

- ثم اختلفوا بعد ذلك في التفريق بينهما من حيث المراد:

١- فروى السمعاني بسنده عن محمد بن سليمان بن فارس، قال: سمعتُ محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «المَدِينِيُّ» هو الذي أقام بالمدينة ولم يفارقها، و«المدنيّ» الذي تحوّل عنها وكان منها. الأنساب (١٢ / ١٥٣).

٢- وقال ابن الأبار: «قال شيخنا أبو الخطاب القاضي: نقلتُ من خطّ أبي مروان بن الصيقل رحمه الله، قال لي أبو علي شيخي، قال لي أبو الوليد الباجي شيخي: كلٌّ من مات بالمدينة من أهلها قيل فيه في النسب: مدنيّ. وكل من كان من أهل المدينة فمات بغيرها قيل فيه: مدنيّ! كتب هذا الكلام أبو عبد الله بن أبي البقا النحوي من شيوخنا، وقال في آخره: وأظنه اصطلاحاً منهم». المعجم في أصحاب القاضي الصدي (ص / ٢٥٠).

٣- وقال ابن ناصر الدين: «فرّق بعضهم بينهما، فمن كان من أهلها، يقال له: مدني، ولمن نزلها مدني». توضيح المشتبه (٨ / ١٠٠). والله أعلم.



فَاتِحَةٌ

في زمان المُضحكاتِ ..

المُبكياتِ !

أصبح (المتنُ) جُنيهاً ..

و(الشروحاتُ) فِرْنَكاً ..

و(الحواشي) مَارَكَاتُ !

أصبح الدولارُ معبوداً ..

كما كانت مَنَاةُ !!

أصبح (الموروثُ) نَهَباً ..

للشياطين الغُرَاةُ !

و(حقوقُ الطبع) صارتُ ..

مثلَ باقي اللّافِتاتِ !

أُحْرِفُ أَضَحْتُ مجازاً ..

ليس فيهنَّ حياةُ !

لم يَعدْ للعلم طَعْمٌ ..

لَمْ يَعُدْ لِلْعِلْمِ ذَاتُ!

لَيْسَ لِلْعِلْمِ رُعَاةٌ..

لَيْسَ لِلْعِلْمِ حُمَاةُ!

عِنْدَهَا جِيْشْتُ شَعْرِي..

وَانْتَضَيْتُ الْمَفْرَدَاتُ.

فِي جِهَادِ الْعَابِثِينَ..

مِنْ لُصُوصِ الطَّبَّاعَاتِ..

وَلُصُوصِ الْمَكْتَبَاتِ!



-١-

الضَّادُّ الضَّارِبَةُ

عَبَثُ (الناشرين) جُرْمٌ بَغِيضٌ

في زمانٍ قد ساد فيه الحَرِيضُ! ^(١)

في زمانٍ تُبَاعُ فيه (الأسامي)!

وعلى بيعها تُنال (القُروضُ)! ^(٢)

قَوِّمُوا الْعِلْمَ بـ(الشهادات) ! ظَنُّوا

أنْ نَشَرَ (التراث) سهلٌ غَرِيضُ! ^(٣)

طَبَعُوا (الْكُتُبَ) دون فهمٍ وضبطٍ

وعلى رَسْمِهَا يَلُوحُ الْغُمُوضُ!

يشتكي (الفقه) بِأَسْهَمٍ و(القراء

تُ) ويشكو (الحديثُ) بَلَّةَ (العروضُ)!

(١) الحَرِيضُ : هو الهالكُ، قاله ابنُ الأعرابي. وقيل: هو الساقطُ الذي لا خيرَ فيه. يُنظر العشراتُ في غريب اللغة لغلَام ثعلب (ص / ٦٨)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٣ / ١٢٤).

(٢) تستغلُّ بعضُ دور النشر أصحابَ الأسماءِ العلميَّةِ اللَّامعة؛ لتضع أسماءهم - شكلياً - على إصدارات الدار! سواء في التحقيق أو الإشراف أو المراجعة! دون مشاركةٍ منهم في ذلك كله؛ نظير حَفْنَةٍ من المال!!

(٣) الغَرِيضُ : هو الطيرُ من كلِّ شيءٍ. يُنظر جمهرة اللغة لابن دريد (٢ / ٧٤٩)، والصاحح للجوهري (٣ / ١٠٩٤).



يَسْرِقُونَ (الْحُقُوقَ) دُونَ حَيَاءٍ!
إِنَّ طَبَعَ اللَّيْمِ طَبَعُ مَرِيضٍ
وَإِذَا طَالِبَ (الْمَحَقِّقُ) يَوْمًا
يُزْدَرَى قَوْلُهُ ، وَتُلْغَى (الْعُرُوضُ)!
أَيْنَ مَنْ يَرْدُعُ الْجُنَاةَ بِحَزْمٍ؟
بَعْدَمَا لَجَّ مُسْتَهِينٌ بَغِيضٍ
أَيْنَ مَنْ يَحْتَوِي (الْحَوَاةَ) بِعَزْمٍ؟
بَعْدَمَا عَاثَ فِي (التُّرَاثِ) مَهِيضٍ
أَيُّهَا الْعَابِثُونَ كُفُّوا وَإِلَّا
سَوْفَ يُبْدِي مَا تَصْنَعُونَ الْقَرِيضُ!



-٢-

الذَّالُّ الْمُذَلَّةُ

أَيْنَ حِفْظُ الْحُقُوقِ؟ أَيْنَ الْمَلَاذُ؟

(١) بين (دُورٍ) قد عمَّ فيها الجُذَاذُ

بات يرعى (التحقيق) فيها جهولٌ

(٢) أو بليدٌ ، أو سائلٌ شحاذٌ!

أصبحَ الْعَالِمُ الْمُحَقِّقُ غِرًّا

ليس يدري، وجَهْلَ الْأُسْتَاذُ!

ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ (بَطْلِيُوسَ) حَتَّى

(جُوزَجانَ)، وخاصمتُ (بغدادُ) (٣)

(١) الجُذَاذُ: ما جُدَّ من الشيء: أي قُطِعَ. وَمَا جُدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، أي كُسِرَ فَصَارَ رُفَاتًا.

انظر تهذيب اللغة للأزهري (٤/ ١٨٥)، وشمس العلوم لنشوان الحميري (٢/ ٩٤٣).

(٢) الشَّحَاذُ: قال في القاموس المحيط (ص/ ٣٣٤): الشَّحْدُ: الإِلْحَاحُ فِي السُّؤَالِ، وَهُوَ شَحَاذٌ مُلِحٌّ، وَلَا تَقُلْ: شَحَّاثٌ.

وقال الصفدي: «يقولون: شَحَّاثٌ، بالثاء المعجمة بثلاث. والصواب شَحَاذٌ بالذال المعجمة، من قولك: شَحَذْتُ السِّيفَ، إِذَا بَالِغْتَ فِي إِحْدَادِهِ، فَكَأَنَّ الشَّحَاذَ مُبَالِغٌ فِي طَلَبِ الصَّدَقَةِ». تصحيح التصحيف وتحرير التحريف (ص/ ٣٣٢).

(٣) بَطْلِيُوسَ: مدينةٌ من بلاد الأندلس غربي قرطبة.

وجُوزَجانَ: اسم كُورَةٍ واسعةٍ من كُورِ بلخِ بخراسان، الأولى في أقصى المغرب، والثانية بأقصى المشرق.

=

(وبديع الزمان) يا قومُ أضحى

يتغنّى: ما عاد يُغني (الأزاد)^(١)

طبعوا كُتبه فجاءت خَلِيطاً

شوّهتها أغلاطهم والشواذ!

= وبغداد: في رسمها سبع لغات، إحداها بالذال المعجمة (بغداد)، وإن نازع في ذلك أهل البصرة! وقد مشى على هذا اللفظ القفطي في «الإنباء»، لا يتعدّاه، ولا يستعمل سواه. وكذا الصفدي في كتابه «نكت الهمان» كما في بعض نُسَخه، وهي النسخة الموجودة في المكتبة العمومية باستانبول.

وجاء في تاريخ بغداد تحقيق د. بشار عواد (١/ ٣٦٤) عن ابن الكلبي، قال: إنما سُميت بغداد بالفرس؛ لأنه أُهدي لكسرى خَصِيٍّ من المشرق، فأقطعه بغداد، وكان لهم صنمٌ يعبدونه بالمشرق، يقال له: البَغ، فقال: بَغ دَاذ. يقول: أعطاني الصنم.

والفقهَاء يكرهون هذا الاسم من أجل هذا، وسماها أبُو جعفر مدينة السلام؛ لأن دجلة كان يقال لها: وادي السلام.

وكان عبد الله بن المبارك، يقول: لا يقال: بغداد بالذال؛ فإن بَغ شيطان، ودَاذ عطية، وإنما شركٌ، ولكن تقول: بغداد، وبغدان، كما تقول العرب.

وعن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، قال: كان الأصمعي لا يقول: بغداد، وينهى عن ذلك، ويقول: مدينة السلام؛ لأنه سمع في الحديث أن بَغ صنمٌ، ودَاذ عطية بالفارسية، كأنها عطية الصنم.

ويقال لها أيضاً: بغدان، ومغدان.

(١) الأزاد: نوعٌ من التمر.

والبيت فيه إشارةٌ للمقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني، التي استهلّها بقوله: «اشتَهيتُ الأزاد، وأنا ببغداد» ينظر (المقامات الهمذانية ص/ ٧٠).

لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ الْمَوَائِثِ يَرَعَى

(نَاشِرٌ) رَقَّ دَيْنُهُ طِرْمَازُ^(١)

عِنْدَ (حَفَظِ الْحَقُوقِ) لِحْصِ لَيْمٍ

وَلَدَى (الطَّبْعِ) نَاشِلٌ وَذَوَاذُ^(٢)

بَادِرُوا الْآنَ بِاتِّخَاذِ قَرَارٍ

فَلَكُمْ أَقْلَقَ (الِلصُّوصِ) اتِّخَاذُ

وَلَقَدْ قِيلَ فِي الْوَصَايَا قَدِيمًا :

« لَا يَفُلُّ الْفُولاذُ إِلَّا الْفُولاذُ »!^(٣)

(١) الطِّرْمَازُ : هو الصِّلَفُ المَفَاخِرُ النَّفَّاجُ، المتشبيِّعُ بما ليس عنده. انظر لسان العرب

(٣ / ٤٩٨)، والقاموس المحيط (ص / ٣٣٥)

(٢) الْوُذُوزَاذُ : الْوُذُوزَةُ السَّرْعَةُ، وَرَجُلٌ وَذَوَاذُ : سَرِيعُ الْمَشْيِ. انظر جمهرة اللغة (١ /

١٩٥)، والمحکم والمحيط الأعظم (١٠ / ٩٣).

(٣) يُشَبِّعُ الْمَدُّ فِي كَلِمَةِ « الْفُولاذُ » الْأُولَى، وَيُخْتَلَسُ مِنَ الثَّانِيَةِ .

وَأَصْلُ الْمَثَلِ : « لَا يَفُلُّ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ »، يُضْرَبُ فِي الشَّيْءِ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جِنْسِهِ.

لطيفة: لما خرج الوليد بن طريف الشيباني السَّارِي عَلَى الرَّشِيدِ، اشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ يَزِيدَ بْنَ مَزِيدِ الشَّيْبَانِي فَقَتَلَهُ، فَقَالَ الشَّاعِرُ، وَهُوَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ:

وَأَثْلُ بَعْضُهَا يَقْتُلُ بَعْضًا لَا يَفُلُّ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ

لَوْ تَلَقَّى الْوَلِيدَ غَيْرُ يَزِيدَ لَغَدَا ظَاهِرًا عَلَيْهِ الْوَلِيدُ

انظر مجمع الأمثال للميداني (٢ / ٢٣٠)، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري (ص / ١٣٤)، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (٢٢ / ١٣٠).

الشَّيْنُ الشَّائِنَةُ!

عَبَثُ (الناشرين) فِي الكُتُبِ فَاشِي

فَلَقَدْ جَلَّلُوا السَّنَا بِالْغَوَاشِي!

نَخَرُوا فِي (المتون) حَتَّى تَهَاوَتْ

فَبَكَّتْهَا (الشُّرُوحُ) بَعْدَ (الحوَاشِي)

(دَوْرُ نَشْرِ) تُرْشَى؛ لِتَخْرِيبِ عِلْمٍ

قَبَّحَ اللَّهُ فِي الْوَرَى كُلَّ رَاشِي!

جَمَعُوا تَحْتَ سَقْفِهَا كُلَّ غِرٍّ^(١)

جَاهِلٍ بِالْفُنُونِ، فَذَمُّ طَوَاشِي^(٢)

(١) بلغني عن بعض دور النشر أنها تستأجر بعض طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية

لنسخ وتحقيق المخطوطات! ثم تطبع الكتاب، وتكتب على غلافه عبارة: حققه

جماعة من العلماء بإشراف الناشر!!!

(٢) الطَّوَاشِي: مأخوذ من الطَّوَش، وهو خِفَةُ الْعَقْلِ - كما قال ابن الأعرابي -، ومنه

قول بعضهم:

لَهُ عَلَى حَاجِبِهِ شَامَةٌ تَنَزَّهَتْ فِي الْحُسْنِ عَنْ عَائِبٍ

مِثْلَ طَوَاشِي زَادَ فِي حُمَقِهِ يَعْلُو عَلَى النَّازِلِ وَالْحَاجِبِ!

وَالطَّوَاشِيُّ هُوَ: الْخَصِيُّ! وَهُوَ مَوْلَدٌ لَمْ يَوْجَدْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَقَالَ الْمُقْرِيزِيُّ:

إِنَّهَا كَلِمَةٌ تُرْكِيَّةٌ.

وَالطَّوَاشِيَّةُ: الْمَمَالِيكُ الْخَصِيَّانُ الْمُعَيَّنُونَ لَخِدْمَةِ بَيْوتِ السُّلْطَانِ وَحَرِيمِهِ.

يتبارون في ابتزاز البرايا
كصنيع الكلاب حين الهراش!
بؤثّم بالخسار، عما قريب
سوف تقضون مثل سرب فراش!
وستذوي جهودكم وتهاوي
كمريض في (غرفة الإنعاش)^(١)
وسأروي هجاءكم في: قصيدي
وكتّابي، ودفتري، وكُنّاشي!^(٢)

= يُنظر تزيين الأسواق في أخبار العشاق للأنطاكي (٢/ ٢١٩)، وتاج العروس للزبيدي (١٧/ ٢٤٨)، وتكملة المعاجم العربية لدؤزي (٧/ ٩٠)، ومعجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي لمحمد دهمان (ص/ ١٠٩).

لطيفة: ذكر النويري أن أحد سلاطين المماليك، كتب إلى نائبه بقلعة الجبل: الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز، قبل وصوله إلى الديار المصرية، أن يتقدّم بنصب مائة خشبة بالميدان الأسود للشنق، فنُصبت، وما علم لمن هي؟ فكان الطواشي إذا توجه إلى الميدان يمرّ على الخشب، فينظر إلى خشبة منها، ويقول: أجد قلبي يحنّ إلى هذه الخشبة! وتكرّر ذلك منه، فشنق عليها!! وهذا من عجيب الاتفاق في إحساس الخواطر. نهاية الأرب في فنون الأدب (٣٠/ ٢٢١) بتصرف.

(١) غرفة الإنعاش: مكانٌ مخصّص في المستشفيات، ومجهّز للعناية بالمرضى عقب الجراحة مباشرة. معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (٢/ ١٦١٠).

(٢) الكُنّاش والكُنّاشة: أوراق تجعل كالدفتر، يُقيّد فيها الفوائد والشوارد للضبط، هكذا يستعمله المغاربة. تاج العروس للزبيدي (١٧/ ٣٦٩)، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٠٠).

فَلْتَفَيْقُوا مِنْ سَكْرَةٍ، وَيَحْ قَوْمِي

قَبْلَ أَنْ تَسْحَقَ الظُّبَاءُ خَرَّاشٍ! ^(١)

وَاهْجُرُوا هَذِهِ (الْمَتَاجِرَ) طُرّاً

وَأَحِيلُوا طَبَعَاتِهَا (لِلْمَعَاشِ)!! ^(٢)



(١) في هذا إشارة إلى البيت المشهور الذي صار مثلاً يُضْرَبُ:

تَكَاثَرَتْ الظُّبَاءُ عَلَى خَرَّاشٍ فَمَا يَدْرِي خَرَّاشٌ مَا يَصِيدُ!

قال ابن القيم: يُحْكِي أَنْ بَعْضَ الْعَرَبِ: أَرْسَلَ صَائِداً لَهُ عَلَى صَيْدٍ. فَخَرَجَ الصَّيْدُ عَلَيْهِ مِنْ أَمَامِهِ وَخَلْفَهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَوَقَفَ بَاهِتاً يَنْظُرُ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَلَمْ يَصْطِدْ شَيْئاً!! فَقَالَ:

تَكَاثَرَتْ الظُّبَاءُ عَلَى خَرَّاشٍ فَمَا يَدْرِي خَرَّاشٌ مَا يَصِيدُ!

مدارج السالكين (٢/ ٣٨٨).

وقال الخوارزمي: خَرَّاشٌ هَذَا صَاحِبُ الْخَرَّاشِيَّةِ مِنْ مَرَوْ، وَكَانَ مِنْ دَعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ خَلَطَ عَلَيْهِمْ، وَقَتْلَهُ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ بَعْدَ قَطْعِ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ! الْأَمْثَالُ الْمَوْكِدَةُ (ص/ ٣٣١).

وانظر التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ص/ ٣٦١)، والمثل السائر لابن الأثير (١/ ١١٧).

(٢) المعاش: هُوَ الرِّزْقُ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي:

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ

وَفِي عُرْفِنَا الْحَاضِرِ هُوَ الْمَالُ الَّذِي يَتَقَاضَاهُ الْمُوظَّفُ بَعْدَ التَّقَاعِدِ مِنَ الْوُضَيْفَةِ.

انظر المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٠). ومعجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار

عمر (١/ ٥٨٦)، ومعجم لغة الفقهاء لقلعجي وقنيبي (ص/ ٤٣٧).

وهو مرادي هنا.

الطَّاءُ الطَّامَّةُ!

عَبَثُ (المكتبات) يا قومُ شَطًّا^(١)
 فاكشفوا وجهها القبيح المغطى
 تشتكي بأسهم دواوين علم
 أنخنوها خبطاً، وخلطاً، وسقطاً!
 يشتكي بغيهم (صحيح البخاري)
 و(المسانيد) كلها، و(الموطأ)!
 عبثاً تصنعون! ما ذا؟ أفيقوا
 أو ما زلتم تغطون غطاءً؟
 كيف يرجى من فاقد العلم علم
 وهو يمضي في ساحة العلم خبطاً؟!

(١) مأخوذ من الشطط: وهو مجاوزة الحد في الجور. ومنه قولهم: شط فلان في حكمه إذا جار.

وقال الليث: الشطط مجاوزة القدر في كل شيء. انظر تهذيب اللغة للأزهري (١٨٠/١١)، وجمهرة اللغة لابن دريد (١٠٠٩/٢).

كَيْفَ يَسْعَى فِي نَشْرِ عِلْمٍ جَهُولٌ
 كَلَّمَا رَامَ أَنْ يُصَوِّبَ أَخْطَا؟!
 مِثْلُ هَذَا فَلَنْ نُسَمِّيَهُ: شَيْخًا
 هُوَ أُخْرَى بِأَنْ نُسَمِّيَهُ: (أُسْطَى)!!^(١)
 لَا يُجِيدُ (التَّحْقِيقَ) إِلَّا لَيْبٌ
 ضَبَطَ الْعِلْمَ وَ(الْمَنَاهِجَ)^(٢) ضَبَطَا
 وَحَوَى عِلْمَ آلَةٍ مَنَحَتْهُ
 فَهَمَ نَصٌّ: مَعْنَى، وَلَفْظًا، وَخَطًّا
 وَثَنِي رُكْبَتَيْهِ عِنْدَ إِمَامٍ
 فِي مَجَالِ (التَّحْقِيقِ)، حَتَّى تَخْطِئَ



(١) الأُسْطَى: كلمةٌ عاميَّةٌ مِصرِيَّةٌ، ولعلَّها تحريفٌ واختزالٌ لكلمة (أُسْتَاذ)! ومعناها: صاحبُ الحِرْفَةِ والصنعة الماهرُ بها. وتُطلقُ أيضًا على سائقِ سِيَّارة الأُجرة، وعلى المشتغلِ بإصلاحها، وهو مرادِي هنا. وانظر تكملة المعاجم العربية لدوزي (١/ ١٢٩)، ومجلة الرسالة (عدد ٥٤ ص ٣٥٧).

(٢) مناهِجُ تحقيق المخطوطات؛ علمٌ شريفٌ؛ يُدرَّسُ في أقسام الدراسات العليا في الجامعات وفي مراكز البحث المشهورة. فأَتَى لهؤلاء الناشرون أن يُدركوا ذلك؟! حيثُ يظنُّ هؤلاء الناشرون أنه مجردُ اجتهاداتٍ وتخُرُّصاتٍ من الباحثين!! فعلينا أن نتنبَّه لهذا الأمر، وننبَّه طلابنا عليه.

النَّاءُ الثَّالِمَةُ!

أيها (الناشرون) ماذا اللُّهاثُ ؟

خَنَعَ النَّسْرُ فاستطالَ البُعَاثُ! ^(١)

هل يُوشى في عالم (النَّشْر) فَدَمٌ

غَيْرُ ثَبَتٍ ، أو عالمٌ بِحَاثُ؟!

غُصَصُ تَمَلَأُ الطُّرُوسَ، ولغوٌ

نَفَخَ الكُتُبَ، فالغياثُ الغياثُ!

(ناشِرٌ) فاشلٌ بنى (دارَ نَشْلٍ)

ينهب الناسَ، دأبُهُ الإِجْتِاثُ!

حَسِبَ العلمَ قطعَةً من (أثاثٍ)

فهل العلمُ - يا جهولٌ - (أثاثٌ)؟!

صارَتْ (الكُتُبُ) مَرْتَعاً لِلْضُوصِ

قد تبارى ذكورُها والإناثُ!

(١) قال أبو عبيد: بُعَاثُ الطَّيْرِ: ضِعَافُهَا. وقال الأصمعي: لِثَامُهَا، وقيل: شِرَارُهَا.

ويُقالُ في المثل: «إِنَّ البُعَاثَ بَأْرَضِنَا يَسْتَنْسِرُ»، أي: يَصِيرُ نَسْراً! انظر المجموع

المغيث في غريب القرآن والحديث لأبي موسى المديني (١/ ١٧٧)، ومعجم ديوان

الأدب للفارابي (٢/ ٤٣١).

فاستغاثُ (خزائنُ الكُتُب) تشكو

فمتى معشرَ الحُماة تُغاتُ؟!

قاطعوا هذه (المتاجرَ) تَذوِي

واتركوا دُعْمَها؛ لِيَحْيَا (التُّراثُ)

وَلِتَحُثُّوا أَقلامَكُمْ يَا لِقَوْمِي

فلقد يحفظُ (الحقوقَ) التَّحَاثُ!

قد عزمْتُ الطلاقَ منها ثلاثاً

ربّما تردُّ الجُناةُ الثلاثُ !!



فهرس الفوائد واللطائف

الصفحة

الموضوع

- ٥ معنى المثل القائل : (حديثٌ لو نقرته لطنَّ)
- ٦ المراد بقولهم : تكبيرةٌ من حارسٍ!
- ٦ أبياتٌ بديعةٌ لابن جرير الطبري في مدح الحياء والرّفق
- ٦ قفّ على مثالٍ غريبٍ في التصحيف!
- ٧ المراد بقولهم : (عَمَرَكَ اللهُ)
- ٧ مثالٌ على التورية المجردة من شعر عمر بن أبي ربيعة
- ٨ معنى كلمة (نَشَل) و(نَشَال) وأصلُهما
- ٨ أشعارٌ وأمثالٌ للجَهْلَةِ في ذمّ العلم ومدح الجهل !!
- ٨ لطائفٌ عن ابن أبي البغل !
- ٩ فائدةٌ عن كلمة (البنكنوت) وأوّل من استعملها
- ١٣ تحديدٌ مقدار (الكُرّ) بالموازين العَصْرِيَّة
- ١٣ قِفْ على معنى (الرَّهْص والوَهْص)



الموضوع

الصفحة

- ١٤ ذِكْرُ نِهَاذَجِ عِدَّةٍ لِمَنْ تَعَرَّضَ لِلْهَجَاءِ طَلَبًا لِلشَّهْرَةِ !!
- ذِكْرُ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَطَلَّبُونَ الْقَوَائِي الصَّعْبَةَ؛ وَلَعَاً بِالْإِغْرَابِ،
- ١٧ وَإِبْرَازًا لِلْمَلَكَةِ، وَسَوْقُ نُبْدٍ مِنْ أَشْعَارِهِمْ
- ٢٩ سُرْعَةُ بَدِيهِةِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ وَقُوَّةُ شَاعِرِيَّتِهِ
- ٣٠ التَّحْقِيقُ فِي جَوَازِ نَسَبِ الْمَدِينِيِّ لِمَنْ سَكَنَ الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ
- اسْتِغْلَالُ بَعْضِ دَوَرِ النُّشْرِ أَصْحَابِ الْأَسْمَاءِ الْعِلْمِيَةِ اللَّامِعَةِ؛ لِتَرْوِيجِ
- ٣٥ بَضَاعَتِهِمُ الْبَائِرَةِ!
- ٣٧ تَصْحِيحُ تَحْرِيفٍ قَدِيمٍ فِي كَلِمَةِ (شَحَّاذٍ)
- ٣٨ فَوَائِدُ عِدَّةٍ عَنْ اسْمِ (بَغْدَادِ)
- ٣٩ لَطِيفَةٌ عَنِ الْمَثَلِ الْمَشْهُورِ: (لَا يَفْلُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ)
- ٤٢ قِصَّةُ خِرَاشٍ صَائِدِ الضُّبَاءِ!
- ٤٢ مَعْنَى كَلِمَةِ (الْمَعَاشِ) قَدِيمًا وَحَدِيثًا
- ٤٤ مَعْنَى كَلِمَةِ (الْأُسْطَى) فِي الْعَامِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ!
- ٤٤ أَهْمِيَّةُ عِلْمِ «مَنَاهِجِ تَحْقِيقِ الْمَخْطُوطَاتِ»

